جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

تجليات الاغتراب
في شعر خير الدين الزركلي

الدكتور
شعبان زكي عبدالحفيظ
الأستاذ المساعد في قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بأسيوط
جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
الجزء الثامن
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

تجليات الاغتراب في شعر خير الدين الزركلي

شعبان زكي عبدالحفيظ

قسم الأدب والنقد - كلية اللغة العربية بأسيوط ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: shabshabshab@yahoo.com

الملخص

يسعى هذا البحث إلى تقديم دراسة نقدية لظاهرة شعرية ، تعد من أبرز الظواهر في الشعر العربي الحديث عامة وشعر خير الدين الزركلي خاصة، ألا وهي ظاهرة الاغتراب، هذا الاغتراب المركب الذي عاناه الشاعر (غربة واغترابا) معا، كما عاناه على المستويين الفردي والجمعي، فانعكس ذلك على شعره بتجلياته المختلفة.

من هنا فالبحث يرصد هذه الظاهرة خلال ثلاثة محاور، يسبقها تمهيد يتناول- بإيجاز- مفهوم الاغتراب ،ثم التعريف بالشاعر، أما المحور الأول فيتحدث عن بواعث الاغتراب في شعر الزركلي ، وهي: النفي، وازدواجية القوانين الدولية، وتناقض أحوال المجتمع، واختلاف العرب وتفرقهم ، ويتولى المحور الثاني رصد أنماط الاغتراب ودراسته في شعره، وهي: الذاتي والاجتماعي، والسياسي / القومي، والمكاني، ثم مظاهر التعويض التي لجأ إليها ليستعيض بها عن اغترابه، بينما يتناول المحور الثالث الأساليب الجمالية التي اتكأ عليها الزركلي في تصوير اغترابه، ومنها : الاستفهام، والنداء، والتكرار، ثم أسلوب الحكمة الذي صب فيه خبراته الحياتية والثقافية، وهي أساليب كاشفة ومضيئة لعمق التجربة الشعرية الاغترابية .

الكلمات المفتاحية : تجليات – الاغتراب – بواعث – أنماط – أساليب جمالية.

Manifestations of alienation in the poetry of Khair al-Din al-Zarkali

Shaaban Zaki Abdel Hafeez
Deartent of Literature and Criticism - Faculty of Arabic Language in Asyut - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt
Email: shabshabshab@yahoo.com

Abstract

This research seeks to present a critical study of a poetic phenomenon, which is one of the most prominent phenomena in modern Arabic poetry in general and the poetry of Khair al-Din al-Zarkali in particular, which is the phenomenon of alienation. That on his hair in its various manifestations

From here, the research monitors this phenomenon through three axes, preceded by a preface that deals briefly with the concept of alienation, then the definition of the poet. The second axis monitors and studies the patterns of alienation in his poetry, which are: the subjective, social, political / national, and spatial, then the manifestations of compensation that he resorted to to replace his alienation, while the third axis deals with the aesthetic methods on which Al-Zarkali relied in portraying his alienation, including: the interrogation The appeal, repetition, and then the method of wisdom in which he poured his life and cultural experiences, which are methods that reveal and illuminate the depth of the expatriate poetic experience .

Keywords: manifestations - alienation - motives - patterns - aesthetic styles

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خلق الإنسان ، علمه البيان، والصلاة والسلام على النبي العدنان ،وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ، وبعد

يُعد الاغتراب من أهم الظواهر في الأدب العربي الحديث شعره وسرده، نظرا للظروف والمصاعب التي عاشها العربي المعاصر؛ لذا كان اختيار هذه الظاهرة عند خير الدين الزركلي لعدة أسباب ، منها: تجاهل كثير من النقاد والباحثين لشعره، إذا قيس بالشعراء المعاصرين له، ومنها أيضا أن الاغتراب عنده لم يكن متخيلا عبر التجربة الشعرية فقط، بل كان واقعا معاشا، عاناه واقعا وتخيلا في الوقت ذاته، ومنها أيضا أن الاغتراب عنده يكتسي حلة وطنية ،فأغلب أشعاره التي تولت تصوير هذه الظاهرة دارت في سياق وطني وقومي خالصين ، من هنا كان الاغتراب عنده فرديا وجمعيا قوميا كذلك .

ومما سبق يتضح قلة الدراسات التي أعدت عن الزركلي ، ومنها :

-خير الدين الزركلي شاعر الوطن، د أكرم جميل ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠١م.

-خير الدين الزركلي : الشاعر العَلَم (الصورة التي اختفت في ركام النسيان) دراسة موضوعية وفنية لنتاجه الشعري، عماد محمد حمرة، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية ، ٢٠١٥م .

-خير الدين الزركلي المؤرخ والأديب والشاعر، أحمد العلاونة، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- الاتجاه الإنساني في شعر خير الدين الزركلي دراسة نقدية، رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة الطائف، بإشرافي ،وإعداد الطالب: خالد ناصر القحطاني ، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ .

ولعل السبب في قلة الدراسات النقدية التي دارت حول شعره ، طغيان شهرته مؤرخا على كونه شاعرا، فموسوعته (الأعلام) لا غنى لأي باحث أو مفكر عنها، من هنا عرفه النقاد والباحثون مؤرخا فأنساهم ذلك شعره ، مع أن المتأمل شعره يجده لا يقل شاعرية عن مشهوري عصره من كبار الشعراء.

أما المناهج المتبعة في دراسة البحث فيأتي المنهج الوصفي التحليلي على رأسها بما يتمتع به من شمولية ومرونة، وقدرة على تتبع الظاهرة أسبابا ونتيجة ، مع الاستعانة بالمنهجين : النفسي والفني في المواضع التي تتواءم معهما .

والله أسأل أن يكون البحث قد وفق في عرض ظاهرة الاغتراب ودراستها وتجلياتها في شعر الزركلي، إنه سميع قريب، والحمد لله مفتتحا ومختتما .

تمهيد

١- مفهوم الاغتراب :

الاغتراب ظاهرة ذات حضور طاغٍ في الدراسات الحديثة، على المستويين: الفلسفي والنقدي ، وهي ظاهرة إنسانية عامة، لا تخص أمة دون أخرى؛ لأن الاغتراب لصيق بحياة كثير من البشر في كل زمان وفي كل مكان، طالما أنهم موجودون على البسيطة، لكنه يزداد شيوعا كلما ازدادت الحياة تعقيدا.

ولقد شاعت هذه الظاهرة في الأدب الحديث بصورة لافتة، وأصبح لها حضورها البارز على مستوى الشعر والسرد معا؛ بفعل ما جدّ على المجتمعات من صنوف الأزمات والحروب والتعقيدات الحياتية، حتى إنها صارت من لوازم الإنسان المعاصر، وهي " إشكالية لا يخلو منها أي عمل فني أو أدبي، يعبر عن الإنسان المعاصر وإحساسه بالتمزق والضياع، خاصة إذا كان بعيدا عن موطنه الأصلي، أو كان هاربا من واقعه زاهدا فيه"(١).

بادئ ذي بدء أقول إن مصطلح الاغتراب تسوده فوضى عارمة مثل غيره من المصطلحات الحديثة، وسر هذه الفوضى يكاد يكمن في كثرة المُنَظِّرين له ، وفي تعدد اتجاهاتهم الفلسفية والنقدية كذلك ، فرؤية (علم النفس) تختلف اختلافا بيّنا عن رؤية (علم الاجتماع)، وكلتاهما تختلفان عن أصحاب الفلسفات الحديثة ، فكل يقدم مفهوما يتوافق وأهدافه وتوجهاته ،

(١) الرواية والروائيون دراسات في الرواية المصرية ،شوقي بدر يوسف ،مؤسسة حورس الدولية، الأولى ، ٢٠٠٦م، ص: ١٩٣ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وما يتغياه من وراء نشر هذا المفهوم؛ لذا سنقف على بعض مفهوماته عند مجموعة من العلماء والمفكرين بغض النظر عن انتمائهم المنهجي ، وحتى لا نقع في بئر التناقض والتشويش .

وبإيجاز شديد استطاع (ديفندر) بعد أن أجرى بحثا ميدانيا توصل خلاله إلى أن مفهوم الاغتراب يتألف من خمسة توجهات متشابكة، وهي : التركيز على الذاتية ،وعدم الثقة ، والتشاؤم، والقلق، والاستياء . (١)

أما (هيجل) و(ماركس) فيدور الاغتراب عندهما حول العجز وانعدام القدرة، أي أن الإنسان يعجز عن تحقيق ذاته، وعند (ماكس فير) بمعنى عجز المواطن عن مواجهة الدولة التي تحاول السيطرة عليه، وتقرير مصيره ، وعند (دور كايم): تفكك القيم والمعايير الاجتماعية التي فقدت السيطرة على السلوك الإنساني وضبطه ... (٢).

وللاغتراب عدة مظاهر، منها عند (شاخت) : الاضطراب العقلي، والغربة بين البشر، وفتور العلاقة الفردية مع الآخرين، والاغتراب عن النفس، والشعور بالعجز ...(٣) .

ويؤكد ما سبق أن قلته عن غموض مصطلح الاغتراب، قول (شاخت): "وحينما نطرح تعريفات واضحة لاصطلاح الاغتراب، فإنها غالبا ما تكون مختلفة، وتفتقر إلى الوضوح فيما يتعلق بعلاقة كل تعريف بالآخر " (٤) .

---

(١) انظر: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١، ٢٠٠٦م، ص٣٦.

(٢) انظر: مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(الاغتراب في أدب حليم بركات ، بسام فرنجية) مج٤، عدد١، أكتوبر ١٩٨٣، ص٢٠٩.

(٣) انظر :الاغتراب ، ريتشارد شاخت، ترجمة : كمال حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص ٦٣: ٦٦ .

(٤) السابق ، ص ٥٧ .

ولم يغب الحديث عن الاغتراب مصطلحا ومفهوما عن صفحات الفكر العربي، فلقد تحدث عنه الفلاسفة العرب ومفكروهم وعاشوه واقعا، من هنا كان حديثهم عنه تنظيرا ومعايشة .

فعندما نتتبع حياة بعض الفلاسفة المسلمين ، نجد أحدهم وهو (الفارابي) ، كان : " منفردا بنفسه، لا يجالس الناس، وكان مدة بقائه بدمشق لا يكون غالبا إلا عند مجتمع ماء، أو مشتبك رياض...، وكان أزهد الناس في الدنيا، لا يحتفل بأمر مكسب ولا سكن، وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم ، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته..."[١]، ويعلق أحد الباحثين على هذه الحالة ، قائلا : " وهذه الصورة التي تُنقل لنا عن الفارابي تُعلل لنا السبب الكامن وراء تأليفه (المدينة الفاضلة) ، فهي لون من الهروب من الواقع، ملائم جدا لعزلته ... "[٢]، فكأنه وجد في العلم بغيته وملاذا يهرب إليه من واقعه المغترب.

ولـ (أبي الفرج الأصفهاني) كتاب مستقل عن الغرباء أسماه (أدب الغرباء) وهو كتاب متقدم بالقياس إلى زمانه، وفيه يستعرض ثقافته حول هذه القضية التي أعَد لها كتابا مستقلا ، وليس ذلك إلا لأهمية هذه القضية وتعبيرها عن حال العصر العباسي ، يقول الأصفهاني عن الغربة والاغتراب

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٢، ١٥٦/٥ .

(٢) تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي ، زامل صالح ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، بيروت ،٢٠٠٣م ، ص ١٧، ١٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

معا : " ... كنا نسمع من أهل العلم يقولون : فقد الأحبة في الأوطان غربة ، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة ؟" (١).

كما يقدم في مقدمة كتابه شهادة توثق حال الغرباء في عصره وقبل عصره من خلال ما رأى وما سمع ، مخاطبا المتلقي الحاضر الغائب قائلا : " وقد جمعتُ في هذا الكتاب ما وقع إليّ وعرفتُه، وسمعتُ به وشاهدتُه من أخبار مَن قال شعرا في غربة ، ونطق عما به من كُربة ،وأعلن الشكوى بوجده، إلى كل مشرد عن أوطانه ،ونازح الدار عن إخوانه، فكتب بما لقي على الجدران، وباح بسره في كل حانة وبستان ،إذ كان ذلك قد صار عادة الغرباء في كل بلد ومقصد ، وعلامة بينهم في كل محضر ومشهد ،فأرى الحال تدعو إلى مشاكلتهم ، وحَيْفُ الزمان يقود إلى التحلي بسمتهم " (٢) .

أما (أبو حيان التوحيدي) والذي عانى شظف العيش ولم يرض يوما عن واقعه المعيش ، مما اضطره لحرق كتبه ضنا وبُخلا على مجتمعه ، فهو يعطينا صورة أخرى للاغتراب بشقيه: المادي والمعنوي، قائلا : "... فأين أنت عن قريب قد طالت غربته في وطنه، وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟ وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان ؟ "(٣)،وفي موضع آخر يعطينا التوحيدي صورة أخرى للغريب الذي فقد كل شيء، فيقول : " يا هذا! والغريب مَنْ غربت شمس جماله،

(١) أدب الغرباء ، أبو الفرج الأصفهاني ، نشر صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت،ط١، ١٩٧٢م، ص٣٢.
(٢) السابق : ص ٢١ ،٢٢ .
(٣) الإشارات الإلاهية لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي، جزء:١،مطبعة جامعة الملك فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٧٩.

واغترب عن حبيبه وعُزّاله، وأغرب في أقواله وأفعاله، وغَرَّب في إدباره وإقباله ، الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة ،ودل عنوانه على الفتنة عقيب الفتنة..."[١].

ولقد تعمق (التوحيدي) في فهم الاغتراب، حتى وضع يده على أهم أنواعه، وهو الاغتراب الذاتي في قوله : " هنا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه ، ولم يتزعزع عن مهبّ أنفاسه، وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قُربه " [٢].

والمتأمل لكلام (التوحيدي) عن الاغتراب والغربة ، يتأكد أنه اغتراب ذو ملمح صوفي خالص ، وأنه يحتاج إلى تأمل شديد في دراسة الاغتراب عنده وعند بقية العلماء العرب وفلاسفتهم الذين أدلوا بدلوهم في هذا الجانب، فلعلها تقدم نظرية عربية حول الاغتراب في الفكر العربي القديم .

وصور الغربة والاغتراب في الفكر العربي غير ما سبق عديدة، من ذلك: الشعراء الصعاليك، وابن طفيل في(حي بن يقظان) ، وابن شهيد في (التوابع والزوابع) والتي جاءت تعويضا له عن اغترابه؛ لذا لاذ بالشعراء القدامى وشياطينهم يعرض عليهم أشعاره؛ ليستنطقهم بما يعوضه عما فقده من تقدير أهل عصره وزمانه .

ومما سبق يتضح لنا أن للاغتراب سواء في الثقافة العربية أو الغربية مظاهر، منها : العجز، فقدان المعايير، غياب المعنى، العزلة، الاغتراب الذاتي، التركيز على الذاتية ، عدم الثقة، التشاؤم، القلق، الغربة بين البشر،

---

(١) الإشارات الإلاهية ، ص ٨٠.

(٢) السابق ، ص ٨١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الهروب من الواقع ، وسنحاول في هذا البحث الوقوف على تجليات هذه الظاهرة في شعر الزركلي، وتحديد بواعثها ،والوقوف على أنماطها المختلفة.

٢- التعريف بالزركلي: ١٨٩٣- ١٩٧٦م

خير الدين الزركلي واحد من كبار شعراء سوريا ،وأحد المثقفين العرب الكبار، تشهد بذلك مؤلفاته خاصة موسوعته (الأعلام) ، ويغلب على شعره الاتجاه المحافظ ، مع أنه عاصر بقية المذاهب الأدبية الأخرى ،ومنها الرومانسية مثلا ، وفي شعره أثرطفيف منها، وإذا كان الزركلي قد ترجم لأعلام عصره وما قبل عصره ،فحري بنا أن نترجم له من موسوعته(الأعلام) التي ترجم لنفسه في آخر أجزائها، فتحدث عن مولده، ونشأته، وتعليمه، وشيوخه، وسفرياته، ونفيه، ثم المناصب التي شغلها، وأهم المحطات في حياته، وأهم مؤلفاته .

يقول تحت عنوان (موجز من ترجمتي) :" خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي (بكسر الزاي والراء) الدمشقي ، ولدت ليلة ٩ذي الحجة ١٣١٠هـ (٢٥يونية١٨٩٣م) في بيروت، وكانت لوالدي تجارة فيها، وهو وأمي دمشقيان ... " [١] .

(١) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، الجزء الثامن ، دار العلم للملايين، ط١٥، مايو٢٠٠٢م، ص ٢٦٧.

ثم يتحدث عن نشأته وتعليمه قائلا : " ... نشأتُ بدمشق، فتعلمتُ في إحدى مدارسها الأهلية، وأخذتُ عن علمائها على الطريقة القديمة، وأولعتُ بكتب الأدب، وقلتُ الأبيات من الشعر في صباي... " (١) .

بعد موقعة (ميسلون) (٢) تم الحكم عليه بالإعدام من قِبل المحتل الفرنسي، فغادر وطنه إلى فلسطين ، ثم بدأت مرحلة التنقل بين العواصم العربية والغربية ، حيث اتجه إلى مصر فأقام فيها مدة ليست قصيرة، وكانت له فيها إسهاماته الصحفية ، ثم اتجه إلى الحجاز وعاصر هناك حكم الهاشميين ثم مملكة بني سعود ، ثم الأردن ، ثم لبنان ،وأخيرا يتجه إلى مصر ليلقى ربه فيها ليختم بها حياته عام ١٩٧٦م . (٣)

إسهاماته العلمية :

١- مجلة (الأصمعي) والتي أوقفتها الحكومة العثمانية ١٩١٢م.

٢- صحيفة (لسان العرب) وهي صحيفة يومية ١٩١٨م.

---

(١) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي: ص ٢٦٧ .

(٢) هي معركة قامت بين مجموعات من الوطنيين السوريين بقيادة (يوسف العظمة) ، والجيش الفرنسي بقيادة (غورو)، في صباح يوم السبت الرابع والعشرين من تموز/يوليو١٩٢٠م، وكان التفوق في العدة والعتاد لصالح الجيش الفرنسي إلا أن السوريين قاوموا المحتل الفرنسي بما يمتلكون من قدرات محدودة ، وكانت الغلبة للفرنسيين وعلى إثر هذه الموقعة بدأ الانتداب الفرنسي بدخول القوات الفرنسية دمشق في أعقاب هذه المعركة ...
انظر : تاريخ سورية الحديث :هاشم عثمان، رياض الريس للكتب والنشر، الأولى ، يناير ٢٠١٢م ، ص: ٤٥، ٥١ .

(٣) انظر الأعلام ، ج ٨ ، ص ٢٦٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣- صحيفة (المفيد) بالاشتراك مع يوسف حيدر .

٤- المطبعة العربية بالقاهرة،والتي تولت مهمة طباعة بعض مؤلفاته.

٥- صحيفة (الحياة) في القدس ١٩٣١م، وأوقفتها الحكومة الإنجليزية .

٦- شارك في تحرير صحيفة (يافا)١٩٣٤م مع مجموعة من أعلام عصره.

٧- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق١٩٣٠م.

٨- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٤٦م.

٩- عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد١٩٦٠م .

مؤلفاته :

١- ديوان الزركلي (الأعمال الشعرية الكاملة) .

٢- موسوعة الأعلام .

٣- عامان في عَمَّان .

٤- ما رأيتُ وما سمعتُ .

٥- شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز .

٦- الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز . (١)

(١) خير الدين الزركلي المؤرخ الأديب الشاعر صاحب كتاب الأعلام ،أحمد العلاونة، دار القلم ، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٣٩.

مفهوم الشعر عنده :

للزركلي مفهوم متغير متطور للشعر حسب تقدم الأيام والعمر به ، فلقد عاصر أغلب المذاهب الأدبية ، وإن غلبت عليه النزعة الإحيائية ، فمفهومه للشعر في مرحلة الصبا يختلف اختلافا بينا عنه في مرحلة النضج الإبداعي عنه كذلك في مراحله المتأخرة .

نستطيع أن نتبين مفهوم الشعر ووظيفته في نظر الزركلي ، انطلاقا من شعره نفسه ، فشعره نابع من ذاته ، فمهما لاحت أمام عينيه تجارب الآخرين، لم يمتح إلا من تجربته الخاصة، والتي يشير إليها بكلمة (كوكبي) يقول من بحر (السريع التام) : [١]

كنتُ وَلي في صَبْوَتِي مَذْهَبٌ ولمْ يَدُمْ لي في الهَوى مَذْهَبِي

كنتُ إذا ما كوكبٌ لاحَ لـي قبستُ معنى الشعر مِنْ كوكبي

والبيت الثاني يشير إلى ذاتية مُجَنحة ،هذه الذاتية الشاعرة التي يعتمد عليها الزركلي في تجربته الشعرية.

وتنضج تجربته الشعرية فيرى أن الذين قصروا الشعر على أوزانه وقوافيه ، لم يعرفوا طبيعته ولا ماهيته ، ثم يعود بأسلوب القصر (إنما) ليعلن عن طريقه أن الشعر ينبغي أن يكون سهلا رقراقا لا تكلف فيه ، ففي مقطوعة له بعنوان (الشعر) يقول من بحر (الخفيف التام): [٢]

---

(١) ديوان الزركلي (الأعمال الشعرية الكاملة) مؤسسة الرسالة، الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ص٦٣ .

(٢) السابق : ص ١٥٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عَرَّفَ الشعرَ بعضُهم بالقوافي وفـــــريقٌ بوزنـــهِ عرّفُوهُ
حَرّفوا نَعْتَهُ ولو عَـــــــرَفُوهُ أو دَرَوْا كُنْهَهُ لَمَــا حَرّفُــوهُ
إنّما الشعرُ سلســبيــلُ زُلالٍ كيفَ يَدْرِي الزُلالَ مَنْ مَرّفُوهُ؟

وواضح تأثره بالمتنبي في البيت الأخير ، حيث يقــول المتنبــي مــن الوافر التام : (١)

ومن يَكُ ذا فمٍ مرٍ مريضٍ يجد مراً به الماءَ الزلالا

كما يرى الزركلي أن الشعر ينبغي ألا يكون لمدح ، مشــبها الشــاعر المَدّاح – حين يذيع صيته ويشتهر– بالطائر الذي إذا غنى وعُــرف تعقبــه القناصون للنيل منه ،وكأنه يرى أن في المدح قتلا وموتا للشعر، لكنه يعود سريعا عن رأيه، حين يرى أن الشاعر قد يضطر أحيانا إلــى مــدح مــن لا يستحق ، اسمعه يقول من بحر(الطويل) : (٢)

نَصْحتُك لا تَصْدَحْ بشعرِكَ شَادِيـا لِتُطْرِبَ أسماعا تَحِنُّ إلى الصّــدْحِ
ولا تُشْعِرْ الأقوامَ أنك شاعــــرٌ تُجيـد أساليبَ التهانئَ والمَـــــدحِ
رأيتُ شَوادي الطير غَنّتْ فأطربتْ فحاولهــا القَنّاصُ بِالكَدِّ والكَــدْحِ
وقد تُلجئ الأيامُ وهْيَ ذميمــــةٌ إلى مَدْح مَنْ لا يستحقُّ سوى القــدحِ!

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح د. كمال طالــب، دار الكتب العلمية ،مج :٣، الطبعة الأولى، بيروت،١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص ٢٤١ .
(٢) ديوان الزركلي ، ص٣٣٨ .

ويؤكد هذا التوجه في مقطوعة أخرى له بعنوان (الضرورة) وفيها يقول من بحر (البسيط التام): (١)

ضرورةٌ أحوجتْني لامتداحِكِمُ ... وللضرورةِ حُكمٌ غيرُ مُطردِ

وفي مقطوعة بعنوان (الجديد والقديم) يضيق ذرعا بالنقاد ويرى أنهم أنكأ للجراح ، وأنهم لا يبحثون إلا عن العثرات ، أما مواطن الجمال فلا يهتمون بها – من وجهة نظره – ، ثم يحسم الجدل حول القديم والجديد، معلنا صراحة أن القديم أولى بالرعاية والاهتمام ، يقول من بحر (الوافر التام) : (٢)

يَقُولُ الناسُ في شِعْري كثيرا ... وَأهلُ " النقد " أنكأُ للكُلومِ

خُذُوا منه "الجديدَ" وإنْ رأيتُمْ ... " قديما " فَالرِّعايةُ للقديمِ !

كما لا يفوته أن ينبه إلى محفزات التجربة الشعرية ، وكلها مستوحاة من الطبيعة على نهج الرومانسيين ، خاصة وأنه أرَّخ هذه القصيدة بعام ١٩٦٥م ،يقول : (٣)

اغْـربي أيتها الشمسُ، أطَلْـتِ النّظَـرَا ... إنما يَسْتلهمُ الشعرُ أخـاكِ القمـرَا

في سُكونِ الليل، والأطيارُ في أعشاشها ... والنسيمُ الرّطْبُ يَسْقِي بنداه الزهَـرَا

نَغَماتٌ مِنْ حَفِيْفِ الروضِ أومِنْ صَخَبِ الـ ... ـجَدْولِ الرقراقِ ساقتْه الرُبى فانحدرَا

---

(١) ديوان الزركلي: ص ٤٩ .

(٢) السابق ، ٢٣٨ .

(٣) نفسه ، ص ٣٠٦ . البيت خارج دائرة العروض الخليلي حيث استخدم (فاعلاتن) وهي الوحدة البنائية لبحر الرمل غير أنه استخدم أربع تفعيلات في كل شطر وهي في بحر الرمل ثلاث رمل الأبحر ترويه الثقات فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعُيونُ الغيبِ مِنْ إشعاعها وَمْضُ الهـوى وعلى أضوائِها رَكْبُ الصّباباتِ سَرَى

وحديثنا السابق عن مذهبه الشعري، وأنه عاصر أغلب المذاهب الإبداعية، واختلاف رأيه في مفهوم الشعر من مرحلة إلى أخرى، قد يوحي بأنه تأثر مثلا بالرومانسية أو غيرها من المذاهب ، لكنه في الغالب جاء بسبب تغير مزاجه الأدبي والنفسي، كما أن تغير مفهومه للشعر بين حين وآخر، جاء انعكاسا لاغترابه وغربته معا، مع تطور طفيف في مفهوم الشعر عنده؛ لأن الدارس الواقف على شعره يلحظ جيدا أنه لم يتأثر بالرومانسية إلا نادرا ، مع أنه عاصر كبار شعرائها، بل وعاصر كل ما أنتجته القريحة الإبداعية بعدها من مذاهب، لكنه بقي إحيائيا ولكن في إطار الإحيائية الجديدة، يؤكد هذا قوله السابق : (١)

يَقُولُ الناسُ في شِعْري كثيرا وَأهلُ " النقد " أنكأُ للكُلومِ

خُذُوا منه "الجديدَ" وإنْ رأيتُمْ " قديما " فَالرِّعايةُ للقديمِ !

(١) ديوان الزركلي ، ٢٣٨ .

المحور الأول : بواعث الاغتراب في شعر الزركلي

اغتراب الإنسان – أي إنسان– لا يتأتى عبثا، كما أنه ليس هدفا أو غاية في حد ذاته، لكنه ينتج عن صراعات عدة ، يعيشها ويكتوي بنارها، يراها أمام عينيه أو يسمع بها، فإذا ما كان هذا الإنسان شاعرا زادت حدة اغترابه بفعل الحساسية الشديدة للشعراء، يرفد ذلك كله ثقافة موسوعية تسمح له برؤية العالم من خلال نصه، وهذا ما نراه ماثلا للعيان في شعر الزركلي.

فالمتأمل في شعره يجد أنه يصور حياته أصدق تمثيل، يصور معاناته بعد الحكم عليه بالإعدام من قِبَل المحتل الفرنسي، ومن ثم فراره من وطنه، وهناك خارج سوريا بدأ يغرد بأجمل القصائد في حبه لوطنه وشدة حدبه عليه، وكثير منها في مقاومة المحتل وفضح ألاعيبه .

ولم يقتصر الأمر على البعد المكاني بل أُضيفت إليه أمور شتى دفعت إلى اغترابه ،منها : الظروف الدولية ،وحال الأمة العربية وتفرقها وتشرذمها...، وغير ذلك من البواعث فجاء شعره انعكاسا لحالة الاغتراب هذه، ولسوف نستنبط هذه البواعث من واقعه الشعري .

النفي :

بين تجربة النفي والتجربة الشعرية وشائج قربى وصلات لا تنتهي، فما أقسى النفي عن الوطن سواء كان إجباريا أو اختياريا، فهو يقدم للتجربة الشعرية زادا لا ينفد، كما أنه يمدها بطاقة شعورية لا تنطفئ شعلتها، رأينا ذلك في أشعار الجيل الأقرب إلى الزركلي : البارودي وشوقي وغيرهما ، ولم يكن الزركلي أقل حالا منهما، بل كان كلما عاوده الحنين إلى وطنه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يصور كل شيء فيه، يراقب حال الناس وأوضاعهم وتبدل أحوالهم، فنظره مشدوه دوما نحو وطنه، حتى اتسع الأفق القومي أمامه فشمل شعره الأقطار العربية كافة ، مما جعله في مصاف شعراء القومية العربية .

ففي قصيدة عنونها بـ (الفاجعة) يتحدث عن بعده عن وطنه وأنه كان إجباريا ، وأنه لم يستطع رؤية وطنه في موقف الذلة وهو الأبي الذي لا يصبر على ضيم ، يقول من بحر(الكامل التام) : [١]

لمْ أنْـأَ عنكِ قِلىً ولا لِنقيصـــةٍ ما أنتِ إلا رَبْعيَ المحمـــودُ
ولقد هَجَرْتُكِ حِين حاقَ بِكِ الأذى ما لِلأُباةِ على الهوانِ قُعُـودُ !
أُقصِيتُ عنكِ ولو ملكـتُ أَعِنَّتِـي لم تنْبَسِطْ بيني وبينكِ بِـيدُ

يقول في قصيدة (نجوى) مصورا أثر فراق الوطن على نفسه [٢]وهي من بحر (الكامل التام):

العَينُ بعدَ فِراقِها الوَطَنا لا ساكنا ألِفَتْ ولا سَكَنَـا
رَيَّـانةٌ بالدمع أقلقَها أن لا تُحِسّ كَرىً ولا وسَنَا
كانتْ تَرى في كل سانحةٍ حُسْنا، وباتت لا ترى حَسَنَا

ثم يصور في نهاية القصيدة حال المغترب عن وطنه ، وقيمة هذا الوطن عنده في مبالغة وغلو شديدين، قائلا : [٣]

إنّ الغريبَ معـذبٌ أبدا إنْ حلّ لم ينعمْ وإنْ ظَعَنا

(١) ديوان الزركلي ، ص١١٨.
(٢) السابق، ص٢١ .
(٣) نفسه، ص ٢١ .

لَوْ مَثَّلُوا لِي مَوْطِني وثَنَا لَهَمَمْتُ أعبُدُ ذلك الوَثَنَا

ويصور وقع تنقله بين البلدان وأثره على نفسه، مما جعله يبدو في صورة المشرد ، وذلك أحد أهم وأقوى بواعث الاغتراب ، قائلا من بحر (المجتث) : (١)

أنا المُشَرَّدُ عن مَوْ طِنِي ومَطْلَعِ فَجْرِي
لا أستقرُّ بمصرٍ حتى أُراني بِمِصرِ
أَضْرِبُ في الأرضِ أَطْوِي قفرا وآوي لِقَفْرِ
يَقْذِفُ بِي البَرُّ لِلْبَحْرِ والخِضَمُّ لِبَرِّ
كأنني بين هَذَيْنِ بين مَدٍّ وَجَزْرِ

١- ازدواجية المعايير الدولية :

امتد عمر الزركلي حتى عام ١٩٧٦م ، من هنا فهو أحد الشعراء الذين عاصروا الأحداث الكبرى في تاريخ الأمة العربية من الاحتلال بشتى أنواعه، مرورا بنكبة فلسطين ١٩٤٨م، ثم العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م، ثم نكسة ١٩٦٧م ، حتى روّى ظمأه بيوم العبور١٩٧٣م ، كل ذلك إضافة إلى عمله الدبلوماسي في مرحلة من مراحل حياته، حتى أصبح خبيرا بالقوانين الدولية وتناقضاتها التي لا تنتهي ،خاصة حينما تلامس المصالح العربية .

يقول الزركلي في قصيدة طويلة عنوانها (إلى الكونت برنادوت) مخاطبا إياه، ومُعرضا بمجلس الأمن ، وهي من بحر (الوافر التام): (٢)

(١) ديوان الزركلي ، ص ٦٦ .
(٢) السابق، ص ٢٨٢ ،٢٨٣ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أَطِلّ على الأنام مِنَ الأعالـــي ... تعالى ما بلغتَ مِنَ المقـــامِ
وراءك مجلسُ الأمنِ اشْمَخَـــرّتْ ... قواعُده وقام على دِعَـــامِ
يُسَمِي الظلمَ عدلا ، وَهْوَ يـدري ... ويُلقِي القولَ يَنْفُذُ كَالسِّهـامِ
وحولك مِنْ دَهَاقِنةِ البَرايـــا ... مُنَظّمةٌ تعيشُ بِلا نِظـــامِ
يُســـيُّرها غَـــوِيٌ أو قـــويٌ ... وترتعُ مِن ضِيائِك في ظَـــلامِ

وفي قصيدة (فيم الونَى) يصور مدى إخلاف الوعود التي تُقَدَم للعرب، فيقول من بحر(البسيط التام): (١)

فِيْمَ الوَنَى وديـــارُ الشامِ تُقتسَـــمُ ... أين العهودُ ـ التي لم تُرعَ ـ وَالذِّمَمُ؟
هل صحّ ما قِيْلَ مِنْ عهدٍ ومن عِـــدَةٍ ... وقد رأيتَ حُقوقَ العُـــربِ تُهتَضَمُ

حتى يقول : (٢)

وُعودَ (وِلْسُنْ) كمْ أضللتِ مِنْ فئـــةٍ ... لَأَنْتِ أَشْـأَمُ ما سِيسَتْ به الأممُ
خَـدَعْتِنا فانخدعنا فاستخفّ بنـا ... شُمُسٌ عن الحقِ في آذانهم صَمَمُ

وفي قصيدة (ما بال ساراي) يصور الغـرب فـي صـورة المخاتـل المخادع، قائلا على بحر(البسيط التام) : (٣)

كَـمْ واعدُونا ، فإغراءٌ وتَمْنَيةٌ ... وخادعونا ، فتفزيعٌ وتطميـــعُ
الظُّلمُ في عُرْفِهِمْ عدلٌ ومرحمةٌ ... والأمر بالباطلِ المنبوذِ تشريعُ

(١) ديوان الزركلي ، ص ١٢٥ .
(٢) السابق ، ص ١٢٥.
(٣) نفسه، ص ١٢٧: ١٢٩ .

٢- تناقض أحوال المجتمع :

وهذه قضية مجتمعية شائكة، يدركها العلماء والمثقفون ، وقد يقال هذا أمر طبعي، أن يكون في المجتمع بعض هذه الخصال، لكن الشعراء مجبولون على المثالية- في غالب الأمر- إنهم ينشدون عالما مثاليا خاليا من تلك التناقضات: بين الظاهر والباطن، بين القول والفعل، لذا عادت عليهم هذه التناقضات باغتراب مُمِض محرق، يصور الزركلي هذا الباعث، قائلا على بحر (الحفيف التام): [١]

الأَناسيُّ ظالمون أنانيّون ضَلُّوا سبيلَهم وأضلوا
زعموا الجهل بالحقائق علما وإذا عِلْمُهم خيالٌ وجهلُ
أكثر القائلين بالخير فَعَّا لُون للشر كَذّب القولَ فعلُ

وفي مقطوعة له يقدم صورة من صور هذا التناقض ، بعنوان (أوجع ما لقينا)، يقول : [٢]

يا ناشِدَ الحقوقْ لم يَبْقَ مِنْ حقوقْ
تَوالت الليالي وامتنع الشُروقْ
لَمْ تُومِضِ الأماني وَلِلْمُنَى بُروقْ
أوجعُ ما لَقِيْنَا في الناسِ مِنْ عقوقْ
خيانةُ الأمينِ وكَذِبُ الصّدوقْ

(١) ديوان الزركلي ، ص :٢٦٧.
(٢) السابق، ص ٢٣٨.مستفعلن فعولن خارج دائرة العروض الخليلي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتزداد حسرة الشاعر في مقطوعة (عُكِس الناس) ليصور واحدة من صور هذا التناقض الذي أرغمه على الاغتراب، فيقول من بحر(الخفيف التام): [١]

هاتِ لي ما يُغَيِّبُ العقلَ عنّي إنما العقلُ فتنةٌ وبلاءُ

أدرك الأحمقُ الكثيفُ عَمَاهُ ما تَمنّى ، وخابتِ العُقلاءُ

عُكِسَ الناسُ ،فاسْتَعَزّ الأذلُّو نَ وذَلَّ الأعِزةُ النُبلاءُ

٣- اختلاف العرب وتفرقهم :

من البواعث شديدة الأهمية التي أججت الاغتراب عند الزركلي : اختلاف العرب وتفرقهم وتناسي ما يوحد كلمتهم ويجمع بينهم، ومنها :الدين، واللغة، والتاريخ، والجغرافيا ، إضافة إلى المصير المشترك، والمفارقة أن هذا التشرذم يحدث في وقت هُم في أشد الحاجة إلى لَمِّ شملهم؛ حتى يستطيعوا التصدي لعدوهم المتربص بهم، متحفزا يتحين الفرصة تلو الفرصة للانقضاض عليهم .

وينطق شعر الزركلي بهذا الباعث ، فيصوره في مواطن كثيرة، منها قصيدته (في جزيرة العرب) يقول من بحر (الكامل التام): [٢]

هلْ في الجزيرةِ مُسْعِفٌ بجوابِ (صِفّينُ) ثانيةٌ على الأبوابِ

مستحضرا موقعة (صفين) وما نتج عنها من تمزيق لشأن الأمة، والتي لا تزال آثارها باقية حتى الآن، ثم يقول في نفس القصيدة :

---

(١) ديوان الزركلي ،ص ٢٩٦ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٦.

واشقوةَ العَرَب اللُّباب بمالِهمْ ورجالِهم وفواضلِ الألبابِ

نزلوا بكــل تَنَوفةٍ وتفرقُوا شِيعا وأحزابا على أحزابِ

وفي مقطوعة بعنوان (أخوان) يصور هذا الشقاق بين أبناء الأمــة العربية ، ثم يذكرهم بما يوحد كلمتهم ، قائلا من بحر (الكامل التام): [١]

انظرْ إلى الأخـــوينِ يصطرعانِ أرأيــتَ كيف تَنَمَّر الأخَوَانِ ؟

أرأيتَ كيف غلتْ صدورٌ كاللظى أرأيتَ ما فعلتْ يدُ الشَنَـآنِ ؟

حتى يقول :

الضادُ والسبعُ المثــاني وَحَّــدا شمليهما ، وتَقَلبُ الحَــدَثانِ

كيف السبيلُ إلى التئامِ هَواهُما والخُلفُ يهدمُ ما الوِفاقُ الباني

٤- ثقافته الموسوعية :

بدهي أن نقول إن للثقافة الواسعة التي حَصّلها الزركلي أثــرا كبيــرا ودافعا قويا أدى لاغترابه ، إضافة إلى البواعث السابقة، فالمثقف مغتــرب بطبعه، كما أن "الاغتراب حقيقة كل شاعر"[٢]،ويكمن سر اغترابه في أحلامه الكبرى، وتطلعاته الواسعة، لذا فهو واقع حتما فريسة للصراع بين المثــال والواقع، بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، سواء كانت هــذه التطلعــات فردية خاصة به، أو عامة تخص الوطن أو الأمة .

(١) ديوان الزركلي ، ص ٢٥٨ .

(٢) الاغتراب في شعر وحياة الشريف الرضي، عزيز السيد جاســم، دار الأنــدلس، بيــروت، ص٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبين الثقافة والاغتراب صلة قوية، فالمثقف كما قلنا يصبو إلى المثالية، كما أن تنوع ثقافته يدفعه إلى التجريب، وإلى الإصلاح في شتى مناحي الحياة.

وإذا عرجنا إلى الزركلي فموسوعة (الأعلام) خير نموذج وشاهد على تنوع وموسوعية ثقافته، إضافة إلى تنوع أسفاره، والأعمال التي أسندت إليه وعلى رأسها العمل الدبلوماسي.

وهذه الثقافة انعكس أثرها على شعره، فإدراك قيمة الشعر " يفرض على الشاعر أن يكون أكثر وعيا وخبرة، وأن يتميز بقدرة لافتة على استيعاب الحاضر والماضي، والإفادة من تجارب معاصريه وأسلافه على السواء، وما دام الشاعر صاحب رسالة مهمة في حياة الجماعة ، فمن البدهي أن يكون أكثر خبرة وحساسية " [١] ، وكان من آثارها أيضا شيوع ظاهرة الاغتراب والشكوى في شعره ، ومحاولة إظهار تفرده على الآخرين في محاكاة ضمنية للمتنبي والمعري كما سنرى .

(١) مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٥م، ص ٢٣٠.

المحور الثاني : أنماط الاغتراب في شعر الزركلي

للاغتراب أنماط وأنواع عدة ، منها: الذاتي، والاجتماعي، والفكري، والزماني، والمكاني، والثقافي، وقد تأتي مجتمعة عند شاعر واحد ، وقد يأتي بعضها دون بعض كذلك؛ بسب البواعث والدوافع التي أدت إليها، لذا سنعول على النص الشعري، بحيث يتم استخراج هذه الأنماط انطلاقا منه، كما أود أن أؤكد أن هذه الأنماط مَهما تم تحديد هويتها، تحت مسمى ما، فإن التداخل بينها أمر طبعي ،إذ لا أسوار حديدية تفصل بين الذاتي، والاجتماعي، والسياسي مثلا، فالتداخل بينها أمر حتمي، كما أن جميع أنواع الاغتراب قد تتداخل مع الاغتراب النفسي بصفة خاصة،"... وذلك لتداخل الجانب النفسي للاغتراب، وارتباطه بجميع أبعاد الاغتراب الأخرى: الثقافي والاقتصادي والسياسي " [(١)].

أولا : الاغتراب النفسي (الذاتي)

يعرفه [فروم] بأنه" فقدٌ لسمة واحدة، أو لجميع سمات الذات الأصيلة ...، وهي : التفرد، والعقل، والحب، والنشاط الخلاق ... "[(٢)]، كما أنه " يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعر من غربة في العالم، وفتور أو جفاء في علاقته بالآخرين " [(٣)] .

---

(١) دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، عبداللطيف خليفة ،دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠٣م ، ص ٨٠ .

(٢) الاغتراب عند إيريك فروم، حسن محمد حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥م، ص٧٠ .

(٣) الاغتراب سيرة ومصطلح، محمود رجب ، دار المعارف، ط ٤ ، ١٩٩٣م ، ص٣٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وللاغتراب الذاتي أسباب وعوامل تساعد على وجوده، وتمكنه من النفس البشرية ،فهو ينشأ عن " التناقض بين الإنسان وبين العالم الخارجي، بين الواقع والخيال، بين ما هو عليه وبين ما يحلم به، بين ما يملكه وبين ما يطمح إليه، بين نظام العالم ونظام تفكيره، بين عالم الآخرين وعالمه الخاص، فينفصل المرء عن ذاته الإنسانية الحقة، أوعن طبيعته الجوهرية، وبهذا المعنى يحمل ذلك التعبير فكرة الفقد الكلي لإنسانية الإنسان" (١) .

وعند القراءة المتأنية لشعر الزركلي نجد أن الاغتراب الذاتي يكثر فيه بصورة لافتة، ففي إحدى مقطوعاته والتي عنونها بـ (صائد القرش)،والتي تصور البون الشاسع بين عالم الآخرين وعالمه الخاص، يقول من بحر (البسيط التام) : (٢)

ماذا جنيتُ على الأيام؟ دائبةً ... كصائد القِرْشِ تُرْخِي لي وتَجْذِبُني
وتَبْتَليني بمغرورين هَمُّهمُ ... ما ليس هَمِّي ومَرْآهُمْ يُعَذِّبُني
أكلما قُلتُ هذا صالحٌ كَشفتْ ... لِيَ الحوادثُ عنه ما يُكَذِّبُني ؟

ويكمن جمال التعبير في قوله (همهم ما ليس همي) فالبون شاسع بين الجانبين، كما أن مجرد رؤيتهم يعود بالعذاب النفسي عليه، هذا الانفصال التام عن الآخرين، عن كل ما حوله، أمر طبيعي ؛لأن " تعاقب الإخفاقات والإحباطات تؤدي بالإنسان إلى اعتزال واقعه اعتزالا كليا، أو شبه كلي ، وسعيه إلى بلوغ واقع آخر لا وجود له إلا في تصوره " (٣) .

---

(١) مجلة الموقف الأدبي (الاغتراب في أدب زكريا تامر، غسان السيد) ، اتحاد الكتاب العرب،دمشق،عدد٣٥٢،سبتمبر ٢٠٠٣م.

(٢) ديوان الزركلي ، ص٢٢ .

(٣) الحنين والغربة في الشعر العربي، يحيى الجبوري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٨٢، ص :١٩ .

وفي قصيدة (يا زمان) يقول في المقطوعة الأولى منها من بحر السريع التام : [١]

متى، تُرَى تَبْسِم لي، يا زمانْ !
ألا حَنانْ ؟
أَسْلَمْتَنِي، لا أنُسَ لي ،لا أَمَانْ !
للحدَثانْ
عَيْنايَ – لَمَّا تَبْرَحا- تجريانْ
نَضَّاختانْ !
أَبْكِي رُبُوعا لا تُطِيقُ الهوانْ
رَهْنَ امتِهانْ

وهذه المقطوعة وأمثالها قد يصنفها آخرون – وحُق لهم – ضمن الاغتراب الزماني، ولكن الأوْلَى أن توضع هنا ،فهي تصور عزلته ومدى توجسه وسيطرة الخوف عليه، (لا أنْس لي ، لا أمان)،كما تصور جريان دمعه(عيناي، تجريان، نضاختان) في استلهام آيتين من قوله تعالى:﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجرِيَانِ﴾[٢]،﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[٣]،وهو بذلك يُعظم من قيمة وطنه حين يسقط عليه بعضا من أوصاف الجنة إجلالا وتعظيما لشأنه.

وشكل القصيدة وشيوع الاستفهام في أرجائها، ينبئان عن الحيرة واللوعة اللتين يعيشهما المغترب، كما أنه صرح بأن الدافع لتلك المعاناة

(١) ديوان الزركلي ، ص٢٥. ثم أردف بتفعيلة مفردة ، وبها أصبح النظم خارج دائرة العروض الخليلي ولعلها محاولة من الشاعر للتجديد في موسيقى الشعر العربي
(٢) سورة الرحمن ، آية رقم (٥٥).
(٣) سورة الرحمن ، آية رقم (٦٠) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذه البكائيات التي أجرت دمعه مدرارا، هو البعد عن الوطن، فهو السبب الأقوى لمعاناته واغترابه .

وفي مقطوعة شعرية بعنوان (وَحشة)،وعنوانها ينبئ باغترابه وعمق وحشته، يقول من بحر(الكامل التام): [١]

ضاقتْ وَعَزَّ أنيسُها النفسُ ... ما في الديار لنازلٍ أُنْسُ

تَجري الحياةُ بِها على نَسَقٍ ... ليستْ تَلينُ بِها ولا تَقْسُو

اليومُ يَعْقُبُهُ مُشابِهُهُ ... غَدُهُ، ومثل كليهما الأمسُ

وإذا القديمُ أو الجديدُ بدا ... فكما تغيبُ وتطلعُ الشَّمسُ

وفيها يتحدث الشاعر عن الجمود وتشابه الأيام ،فلا فرق بين القديم والجديد فهما سواء.

وفي مقطوعة أخرى يوازن فيها بين حالين، ويأتي عنوانها مصورا ذلك (كنتُ، وبتُ) ويختص الشطر الأول من الأبيات الثلاثة الأول بتصوير الماضي والذي يشير إليه في العنوان بـ (كنتُ) ، بينما يقوم الشطر الثاني منها بتصوير واقعه المعيش والذي تشير إليه لفظة (بتُ)، في موازاة بين الماضي والحاضر، ثم يختم المقطوعة بتصوير شقاء صاحب العقل ، قُبالة نعيم الأغبياء ، مستشعرا في ذلك صاحبه المتنبي.

يقول الزركلي من بحر (السريع التام) : [٢]

كنتُ وَلِي في صَبْوَتي مَذْهبٌ ... وَلَمْ يَدُمْ لي في الهَوى مَذْهبي

---

(١) ديوان الزركلي ، ص: ٦١ .

(٢) السابق ، ص ٦٣ .

كنتُ إذا ما كوكبٌ لاحَ لـــي قبستُ معنى الشعرِ مِنْ كوكبي
كنتُ إذا ما الليل ألقى الكَرى نَهَضْتُ أرعى حَلَكَ الغَيْهَـــبِ
بِتُّ أرى من مَعاني النُّهـــى شِقْوَةَ ذي اللُّبِ ونُعمى الغَبـــي

وفي البيت الأخير يتناص مع المتنبي في قوله من الكامل التام : [١]

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ويمثل اليأس والإحباط سببين رئيسين في اغترابـــه ، فنـــراه يصـــل لمرحلة فقدان المغزى والهدف، ويصبو إلى الانزواء في ركن ضـــيق مـــن فضاء العالم الفسيح ، لا لشيء إلا لأنه لم يستطع التواؤم معـــه ،كـــل هـــذا تقدمه مقطوعة قصيرة بعنوان (خمول الـــذكر) يقـــول فيهـــا مـــن بحـــر (المضارع): [٢]

خُمُولُ الذِكْرِ مِعْوانٌ على اللَّذَّةِ والأُنـــس
تَبِيتُ وليس مَنْ يَســـــــــــألُ هل تُصبحُ أو تُمْسِي
رحِيلكَ حَيثُما تَمضي وَحِلُّك حيثما تُرْسِـــي

قمة المفارقة الحياتية أن تكون سعادة الإنسان متمثلة في خمول الذكر وضياع الأثر، وهي تطلعنا على واحدة من جماليات الفقد ، فقد الآخرين ففيه عون له على اللذة والأنس بالوحدة والاغتراب والانقطاع عن العالم المحيط به، وهي نزعة صوفية واضحة .

وفي قصيدة (عصفورة النيربين) يناجي الطائر على نهج الرومانسيين – وليس منهم– ، ويخبره بحاله ومآله، فهو المُعَنّى ،ومن ألـــف الشـــجو،

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري ، مج :٤ ، ص ١٢٥ .
(٢) ديوان الزركلي ،ص ٩١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وضاع صفوه وزهوه، ثم يعلن في آخرها عن سر اغترابه وهو خيبة ظنه في المحيطين به من الرجال خاصة، اسمعه يقول من مخلع البسيط: (١)

عُصفورةَ النَّيْرَبَيْنِ غَنِّي ،(٢)
وَارْوِي حَدِيثَ الأنينِ عَنِّي !
أنا المُعنَّى ، وما المُعَنِّي
غيرُ حنينٍ ، أذابَ مِنِّي
شَغَافَ قلبي ،وحُسنَ ظَنِّي !
عصفورةَ النَّيْرَبَيْن ـ نُوحِي !
يُضَمِّدُ النّوحُ مِنْ جُروحِي ،
لم يُبقِ لِيَ الهمُّ غيرَ رُوحِي،
ما القلبُ ،ما الجسمُ، بالصَّحيحِ !
ما بِيَ عِـــــرقٌ بمطمئنٍّ !
ألفتُ شجوني ، وعِفتُ الهوي
فَأينَ صَفْوِي، وأينَ زَهْوِي ؟
سَكِرتُ حتى نسيتُ صحوِي
ومِنْ كُؤوسِ النُّكُوبِ نَشْوِي،
ومِنْ أُجَــاجِ الخُطوبِ دَنِّي
إنْ أهْوَ ، لا أهْــوَ غيرَ آلي
دَمِي فِدَاءٌ لَهُمْ ، ومَــالِي !
أحسنتُ ظني بهمْ ، فمـا لِي

(١) ديوان الزركلي ، ص ٩٣ ،٩٤ .
(٢) النيربان : متنزهان متقابلان في دمشق على جانبي الطريق بين مرجها وربوتها .

خابتْ أمَانيَّ في الرجـالِ ؟
ليتَ الأمانِيّ بالتّمنـــي !..

" والأبيات موسيقية اللفظ، بُحترية التركيب، تكاد تغنـي، سـار بهـا الشاعر على سجع الحمام، فلقن طيور بلاده أغاني قلبه، وأناشـيد روحـه القلقة المعذبة في سبيل أمته ووطنه... "(١)

وفي مقطوعة عنوانها (هَمٌّ الحياة) ، يقول من بحر(الوافر التام) : (٢)

مُعَنفتـي وللآلامِ بَـــرْحٌ	خُـذي هَمَّ الحياةِ وعَنفينـي
أُرانـي ، والحياة مُعَمَّيَـاتٌ	أَسِيرُ من الظنونِ إلى الظنونِ
يُغَالبُ في الهَوى شَكِّي يَقيني	ولا شكِّي يدومُ ولا يَقينـــي

وهي تصور واحدة من مظاهر المغترب ، ألا وهى حالة فقدان المعنى وانعدام المغزى .

وفي قصيدة له بعنوان (حَيرة) بعد أن يناجي الله تعالى أن يصـرف عنه ما هو فيه، نراه يعرج على وصف حالتي: الضـياع والقلـق اللتـين يعيشهما ، قائلا من المديد التام : (٣)

أنا في مَسْبَعةٍ حينا ، وحينا بين ذِئْبٍ ونَمِرْ !
أتَلهَّى بالأمانيِّ ، وقد ينجو مِنَ الشرِّ الحَذِرْ !

---

(١) خير الدين الزركلي شاعر الوطن، د. أكرم جميل قنبس ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ، ٢٠١١م، ص ٤٣.
(٢) ديوان الزركلي ، ص ١٠٧ .
(٣) السابق ، ص : ٩٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والبيتان يصوران اغترابه الذاتي ويصف المحيطين به بالسباع حينا ، والذئاب والنمور حينا آخر، وهي وإن كانت تصوراغترابه، فهي في ذات الوقت تدين مَن حوله وتنعتهم بانعدام الإنسانية .

ثم يختم القصيدة بقوله :

ما الذي تُبصره عيناي. بل نَفْسيَ . في الوادي العميقِ ؟
لستُ أدري أغريقٌ أنا في مهْـــ ـوايَ ، أم شِبْهُ غَرِيقِ

ويصل الاغتراب الذاتي أوجه عند الزركلي ، حين يتمنى أن يصبح بلا عقل ، فهو يحيا في تجاهل لمن حوله ؛ حتى يستطيع أن ينقذ نفسه من بؤسهم ، يقول من بحر (الطويل) : (١)

تجاهلتُ ما حولي وما تحتَ ناظري فأنقذني مِن بُؤْسِ مَنْ عَلِمُوا ، جَهْلِي
إذا العقـــلُ لم يُبْلِغْكَ رُشْدَا فإنّـه مِنَ العقلِ حِينا أنْ تعيشَ بِلا عقـلِ

هذه مجرد نماذج من صور الاغتراب الذاتي عند الزركلي ، وهي تصور حالة الفقد التي عاشها لبواعث عدة صورها شعره، وفيها أبان عن حيرته ولوعته من هول ما يراه وما يسمعه، واستعانت تجربته الشعرية ببعض الأساليب التي تناسب حالته النفسية ، وعلى رأسها التكرار بما يمثله من تأكيد للمعنى والتنبيه عليه ، إضافة إلى الإيقاع الداخلي الرنان الذي ينتج عنه ، كما استدعت حيرته ما يناسبها من أساليب ألا وهو الاستفهام في إطار الصراع القائم في نفس الشاعر بين الواقع والمستقبل في حضور الماضي بزهوه وخيلائه.

(١) ديوان الزركلي ، ص :١٠٤ .

ثانيا : الاغتراب الاجتماعي

يعد هذا النوع من أشد أنواع الاغتراب تعقيدا، وأكثرها شيوعا وغزارة، إذ إنه يرتبط بالحياة المجتمعية، وما يتصل بها من علاقات وتناقضات بين الواقع والمثال، ولشدة أهميته بالغ [شاخت] في قيمته فجعله مظلة ينضوي تحتها جُلُّ أنواع الاغتراب ، فهو عنده " الشعور بافتقاد العلاقات ذات المعنى مع الآخرين، والإحساس بالتعاسة بسبب هذا الافتقاد"(١).

كما أن هذا النوع من أكثر أنواع الاغتراب شيوعا عند الزركلي، فثقافته وأحلامه وتطلعاته الخاصة به وتلك المتعلقة بوطنه وأمته ، قدموا له إحساسا بالتفرد وعرفانا بقيمة النفس، يُضاف إلى هذا إحساسه بضياع الحلم الجمعي الذي كان يحلم به من تطور المجتمع العربي ، لذا سنراه يعود إلى الماضي كثيرا يستدفئ به من برد الحاضر ، ويتقوى به على الواقع المعيش.

والاغتراب الاجتماعي " شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين ... أي ضعف الروابط مع الآخرين " (٢) ، كما أنه يعد سببا أصيلا في اكتئاب الشخصية وعدم تواؤمها مع الآخرين ، بسبب " شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع ... ، إضافة

---

(١) الاغتراب ،ريتشارد شاخت ، ترجمة : محمد كامل حسين ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠، ص :٢١٦ .

(٢) مجلة عالم الفكر،(الاغتراب :اصطلاحا ومفهوما ودوافعا) ،مج١٠ ،عدد١، الكويت ، ١٩٧٩م، ص :٣٣ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إلى ما يصحب ذلك من إحساس بالألم والحسرة ، أو بالتشاؤم واليأس، وما يرافقه أحيانا من سخط أو تمرد ... " [١].

وتتعدد صور الاغتراب الاجتماعي في شعر الزركلي، منها: انقلاب الأوضاع وتغير أحوال الناس، وتناقض الظاهر والباطن، وهي تصب جميعا في تنامي الجهل والتخلف في المجتمع، من هنا يكمن السر في إلحاحها على التجربة الشعرية عند الزركلي ، حيث جاءت صور ذلك في نماذج وقصائد عديدة، وهذا يوضح دور الشعر في إصلاح المجتمعات وتوجيهها نحو الحق، والخير، والجمال .

وعندما يعاني المجتمع من تقلب أحوال أهله، ينعكس ذلك على الأدب والشعر خاصة ، أليس الشعر انعكاسا للمجتمع ؟ فالزركلي في مقطوعة له بعنوان (بنو المهانة) يرصد بمرآته الشعرية التقلبات التي أودت بالمجتمعات ،قائلا من بحر(الوافرالتام) : [٢]

أما للرشدِ بعد التيهِ بابُ ؟ لقد ضَلّ الأدلةُ والركابُ
أناخَ الليلُ ليس له صباحٌ وَوَلّى النجمُ ليس له إيابُ
بكل مَحِلةٍ خُلْفٌ ، وذُعرٌ وضِغنٌ، وائتمارٌ، وارتيابُ
بنو الأبوين، بعضهمُ ظهيرٌ على بعضٍ ، وبينهمُ الحِرابُ
وَكُنّا بِالشيوخ لنا لِياذٌ فما نفع الشيوخُ ولا الشبابُ

فضياع الدليل لابد أن يتبعه ضياع القافلة، لذا سبقه استفهام يقدم رؤية المغترب الحائر، كما أن الليل لا صباح له، والنجم ولّى بلا عودة، وهذه كلها

(١) الاغتراب في الشعر العباسي، القرن الرابع الهجري، سميرة سلامي، دار الينابيع، دمشق ، الأولى ، ٢٠٠٠م ص :١٥١ .
(٢) ديوان الزركلي ، ص٥٦ .

انعكاسات الصورة أمام المغترب عامة والاجتماعي خاصة، والتي تتجلى في حالة الضياع والتيه، والتي حدد أسبابها في : الاختلاف، والخوف، والكراهية، والائتمار، والشك، وكلها أضحت ظواهر مجتمعية عامة، لذا رأينا الصدمة في البيت الأول حيث المغترب الذي ضاع منه كل شيء .

والبيت الأول يضعنا أمام استفهام يفيد طول فترة التيه والضلال، ثم يستحضر الشاعر ليل امرئ القيس،(أناخ الليل ، ليس له صباح) لكن ليل امرئ القيس كان له صباحه : (١)

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِي بصبحٍ وما الإصباحُ فيكَ بأمثلِ

كما أن نجوم امرئ القيس مشدودة بـ (يذبل) من هنا فليله يسير لكن ببطء، يقول : (٢)

فيالَك مِنْ ليلٍ كأن نجومَهُ بكل مُغَار الفتل شُدّت بِيَذْبُلِ

أما نجوم الزركلي فلقد ولت بلا رجعة مما يؤكد سرمدية ليله الأبدي ،في إشارة إلى تردي الأحوال، وانتحار الأمل.

وفي مقطوعة له عنوانها (الكلب) يقول من (مجزوء الكامل): (٣)

الكلبُ أرغَدُ عِيشةً مِمَّن تَرى وأحبُّ حَالَا

ألِفَ المَذلّةَ فاستَرا حَ فلا شُعورَ ولا مَلالَا

(١) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ص:١٨ .

(٢) السابق ، ص ١٩ .

(٣) ديوان الزركلي ، ص : ١٠٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَتَراهُ يدفعُ عنْ ذوِيـ ـهِ أذى المُخاصِم والنّكالا
خُصَّ الوفاءُ به وثُنّـو بَاً في الطّوارئِ واحتِمالا
وأرى الكثيرَ مِنَ الورَى حُرِموا بنا هَـذِي الخِصَالا

وفيها ينعى على البشر ضياع الوفاء بينهم ،لكنه يعود فيهجو الكلب بأنه ألف المذلة ، والتي ترتب عليها أن صار أرغد عيشا من كثير ممن هم حول الشاعر ،فهو يمدحه بالوفاء ، لكنه يهجوه بأنه ذليل ، فهل وقع الشاعر في تناقض ، أم أنه حاول أن يتمثل ابن الرومي حين هجا صديقا له، قائلا من مخلع البسيط: (١)

وجهك يا عمرو فيه طول وفي وجوه الكلاب طول
فأين منك الحياء قل لي يا كلب ، والكلب لا يقول؟

حتى يقول : (٢)

وفيه أشياء صالحات حماكها الله والرسولُ
فيه هرير وفيه نبح وحظه الذل والخمولُ
والكلب وافٍ وفيك غدر ففيك عن قدره سفولُ

أما الزركلي فهو يتحدث عن رغد العيش الذي يعيش فيه الكلب ، في حين أن كثيرا من البشر حرم منه، كما أنه يعدد بعضا من صفاته كالوفاء ، كما أنه يدافع عن أصحابه ، ويؤكد أن الكثير من الورى حرم من هذه الصفات أيضا، فيا ترى أي صفات ،أهي الوفاء ،أم الدفاع عن الأهل، أم رغد

(١) ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار وآخرون، جزء:٥،دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م ،ص:٢٠٠٣.
(٢) السابق، ص : ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤.

العيش ؟ كلها أسئلة حائرة ، سبب حيرتها تَمثل الزركلي لابن الرومي ، لكن تصويره للموقف جاء باهتا متناقضا، فلم يستطع أن يجلو الصورة كصاحبه ابن الرومي .

عند حديثي عن بواعث الاغتراب ، أشرت إلى تقلب الأوضاع الاجتماعية كواحد من أهمها ، لذا تعددت صوره في شعره كثيرا ، ففي قصيد (صرخة محزون) يعرج على بعض هذه الأوضاع المقلوبة ، والتي يصورها قائلا من بحر (الوافر التام): (١)

خُطُوبُ الدّهْرِ أَيْسَرُهَا المُنونُ ... وَحُبُّ العيشِ في نَكَدٍ جُنونُ
وَصَبْرُ الحُرِّ والأحداثُ تَحْبُو ... إليه صُروفُها عَجْزٌ وَهُونُ
إذا ضَنَّ الزمانُ على ابْنِ حَزْمٍ ... بما يَهْوى وفازَ به الأفينُ
وعَزَّ الأضعفونَ وذَلَّ قَوْمٌ ... أَبَوا حِينَ الشدائدِ أنْ يَلينُوا
فَقُرْبُ الموتِ أفضلُ مِنْ نَواه ... وَكَمْ بِدُنُوّهِ قَرّتْ عُيونُ

وقضية تقلب أوضاع الناس ، من أكثر القضايا الملحة على تجربة الشاعر، وهو كما رأينا فهو ينعى على العقلاء رشدهم بعد أن ضن الدهر عليهم بالعطاء ، في حين أعطى الأفين ، إضافة إلى التغير الذي أصاب المجتمع، فالضعفاء أصابهم العز ، في حيين أن الذل كان من نصيب أولي الشدائد ؛ لذا نراه يستعجل الموت على حالته تلك ، ويرى في قربه قرة العيون، وكأني بالزركلي يتحدث عن عقليته ورشده وصبره على الشدائد، ومع هذا لم يُحصل من الحياة شيئا ، في حين أن ضعاف العقول فازوا

(١) ديوان الزركلي ، ص : ١١٤ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بملذات الحياة وزينتها ،وهي فكرة ألحت عليه كثيرا، ففي مقطوعة بعنوان (بلد) يقول مستفهما متحيرا على وزن (الخفيف) : (١)

أيُّ مَعْنى للعيش في بلدٍ سا ء وساءتْ كُلُّ العناصرِ فيهِ

زمنٌ ظالمٌ، ومَولىً مُولّى وكريمٌ على بساط كريهِ

فجملة (وساءت كل العناصر فيه) تصوير لعموم السوء حتى شمل جميع الأحياء ، ثم يُفصل أسباب هذا التشاؤم القهري : زمن ظالم ، ومَولى مُولَّى ، وفي المقابل يعيش الكريم حياة بائسة معذبة (على بساط كريه) .

ويؤكد شيوع هذه الظاهرة في مجتمعه ، في قصيدة أخرى بعنوان (الغد) والتي تعج بالاستفهامات المستقبلية ،ثم نراه يصور لمحة من الواقع المتناقض ، حين يخاطب وطنه قائلا من بحر(الكامل) : (٢)

ويَذِلُ فيكَ الأكرمون زَهادةً ويتيه فيك الألأمون تَمجُّدا

وفي مقطوعة له بعنوان (سبيل الهدى) يؤكد على تلك البنية الملحة على تجربته الشعرية ، وهي انقلاب الأوضاع الاجتماعية وأحوال الناس ، ويراها من المضحكات على سبيل التهكم والسخرية ،وفي هذه المرة يبدأ بسرد الأسباب ليرتب عليها النتائج عكس ما سبق ، ثم تأتي الخاتمة متعانقة مع العنوان ، يقول المتقارب : (٣)

أيضحكُ ذُو اللبِ مما يَرى وفي عالَمِ الإنسِ ما يُضحكُ

عزيزٌ يَذلُ ، ودُونٌ يَجِلُّ وفي كلِ أرضٍ دمٌ يُسفكُ

(١) ديوان الزركلي ، ص : ١٨٣ .
(٢) السابق ، ص ٢٠٢ .
(٣) نفسه ، ص : ٢٩٩ .

بريءٌ يَعـــدُّونه في الجُنا ... ةِ وجـانٍ يُبَرّأُ، أو يُتْـــرَكُ
رأيتُ سبيلَ الهُدى وَعْـرةً ... ولم أرَ في النـــاسِ مَنْ يَسْلُكُ

وفي قصيدة له بعنوان (وساوس) يصور الجهل المتفشي في المجتمع، وتناقض أحوال الناس، ثم انقلاب الأوضاع من رفعة خامـل، وذلـة نابـه، قائلا:(١)

الأَناسيُّ ظالمون أنانيون ضَلُّـــــوا سبيلَهم وأضَـلُّوا
زعموا الجهلَ بالحقائقِ علما وإذا علمهـمْ خيالٌ وجهـلُ
أكثرُ القـائلين بالخيرِ فَعَّالون للشر ، كَذَّب القولَ فعـلُ
قد يخال السموَّ من راح يهوى ويخال السقوط من راح يعلو
خامـلٌ لا تكـاد تُبصره العينُ تَعالَى ونابهُ مُستَـــذَلُ

ويزداد تأزم الشاعر وقلقه من هول ما يـرى مـن اسـتهتار النـاس بأصحاب العقول ، حتى أصبح العقل ابتلاء لصـاحبه وهـذه نتيجـة ، أمـا أسبابها فمنها: أن الأحمق يدرك أهدافه ، بينما لا يجني العاقـل إلا الخيبـة والندامة ، وثمة سبب آخر والذي تكرر كثيرا في شعره ، وهو ذلة العزيز ، وعزة الذليل ، وهذا ما يقدمه الزركلي في مقطوعة تحمل من التكثيف مـا يجعلها تحتمل هذه المعاني وغيرها بدءا من عنوانهـا (عُكـس النـاس) وتفاصيلها ثم تعانُق الختام مع العنوان ، يقول فيها من بحر (الخفيف):(٢)

هاتِ لي ما يُغَيِّب العقل عني ... إنما العقـلُ فتنةٌ وبـلاءُ
أَدَرَكَ الأحمقُ الكثيفُ عمـاهُ ... ما تمنَّـى ، وخابتِ العقلاءُ
عُكِسَ الناسُ ، فاستعزَّ الأذلّو ... ن وذَلَّ الأعـــزةُ النبلاءُ

(١) ديوان الزركلي ، ص :٢٦٧، ٢٦٨ .
(٢) السابق ، ص : ٢٩٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتأتي جملة (عُكس الناس) ضاربة في أعماق المجهول، لتشير إلى تعدد الأسباب الفاعلة والمسببة لهذه النتائج المجتمعية الكارثية ، والتي تكاد تودي بالعقلاء .

ونختتم حديثنا عن هذا الصنف من الاغتراب الاجتماعي بقصيدة (كلمات) والتي وصل فيها إلى قمة اغترابه وعزلته عن مجتمعه، حيث يدعو إلى إساءة الظن بالناس ،ثم يقدم قضايا كلية تعاني من التعميم (كل خلٍ متخلٍ)(كل جمعٍ مفترق)، وهي توحي بنبرة يأس مع أنه في مطلع القصيدة يدعو إلى عدم اليأس ، وفي نهايتها يستبعد وجود بغاة الخير ، وهذا يؤكد وصوله قمة الاغتراب الاجتماعي ، فباغي الخير – في نظره– شخص لم يخلق بعد، مما يؤكد ما قلناه: إن هذا يمثل انفصاما تاما عن مجتمعه ، وفقدانا تاما لمعنى الحياة ، حين تصبح الحياة بلا معنى ، يقول الزركلي من بحر (الرمل): (١)

خَلِّ عنك اليأسَ ، إنَّ اليأس داء مُحترقْ
وتَأَهّبْ لِعَوادي الدهر، فالدهرُ حَنِقْ
وَأَسِئْ ، ما اسطعتَ ،بالناس الظنونَ. لا تثقْ
كلُّ خلٍ متخلٍ ، كلُّ جمعٍ مفترقْ
وإذا مُكِنْتَ مِنْ خَصْمِكَ فاسْبِقْ وانْطَلِقْ !
رُبَّ رامٍ وَدَّ ، بعدَ الرمي ، لو كان رفَقْ ..
وَعَفُوٌ عّضَّ ، بعد العفو ،كفَّا وشَهَقْ
زُمَرُ الخيرِ غفاةٌ ! وفتى الشرِّ أرِقْ
إنما يَطلب باغي العُرف شخصاً ما خُلِقْ

(١) ديوان الزركلي ، ص : ١٦٧ .

أما الشق الثاني من الاغتراب الاجتماعي ، فيتمثل في تناقض الظاهر والباطن ، وهي صفة تفشت في المجتمع زمن الشاعر- ولا تزال- لذا كانت واحدة من أسباب معاناته وسرا من أسرار اغترابه ، آلت به إلى محاولة انعزال الناس ، بل أوصلته إلى حد كبير من اليأس ، فبدأ يتلهى بالمداراة ويتخذها حجابا ووقاية له في نفس الوقت كما سنرى .

ففي قصيدته (صرخة محزون) والتي نشرت في جريدة المقتبس بدمشق في(آب) ١٩١٣م ، تحت عنوان (إلى الرمم البالية يشكو الأحياء) يقول على وزن (الوافر) :[١]

بَرِئْتُ إلى الحِجَى مِنْ آلِ دهري ... وإنْ يكُ بِي إلى قومي حَنينُ
بَرِئْتُ إلى الحِجَى مِنْ صُنع رهطٍ ... لِأَربابِ النُّهى ، مِنْهُم أنينُ
ظَوَاهِرُهُمْ تَدُلُّ علَى صلاحٍ ... ولكنَّ الفسادَ بهمْ كَمِينُ

وإذا عدنا إلى العنوان الذي نُشرت به القصيدة في مجلة (المقتبس) وهو (إلى الرمم البالية يشكو الأحياء) تأكد لنا حجم الفقد واليأس من الأحياء ، لذا راحوا يشكون للأموات ما هم فيه من هَمٍّ ونكد وفساد ،أو أنها مبالغة في عدم الاستجابة ممن بيده الحل والعقد ،لذا كنَّى عنهم بالرمم البالية، أما على الجانب الآخر هؤلاء الذين يشير إليهم مرة بـ (قومي) وأخرى (رهطٍ) فأرباب العقول تئن من أفعالهم، ثم يصل إلى بنية اغترابه ألا وهي صلاح الظاهر وفساد الباطن ،وهي السمة التي أعيت المثقفين والمصلحين في كل عصر ، وعانى منها كل ذي لب وعقل .

وفي مقطوعة بعنوان (أوجع ما لقينا) ،يقول من بحر (البسيط): [٢]

(١) ديوان الزركلي ، ص :١١٤ .
(٢) السابق ، ص: ٢٣٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يا ناشدَ الحقــوقْ لم يَبق من حقــوقْ
توالت الليــالي وامتنع الشــروقْ
لم تُومضِ الأماني وللمُنى بُــــروقْ
أوجــعُ ما لقينا في النَّاس من عقوقْ
خيــانةُ الأمينِ وَكَذِبُ الصَــدوقْ

في هذه المقطوعة يبدأ بذكر النتيجة أولا ، ألا وهي ضــياع الحقــوق وتوالي الليالي ، وامتناع الشروق ، وليل الزركلي كما لاحظنا فــي أشــعار سابقة مستمر وصباحه ممتنع لا وجود له " ممتنع الشروق "،ثم يخصص في البيتين الرابع والخامس أوجع ألوان العقوق ، ألا وهي تبدل أحوال النــاس متمثلة هذه المرة في تبدل الأمين إلى الخيانة ، وتحول الصدوق إلى نقيضه الكذب، وهما سبب النتائج السابقة ، وسر قلقه ومعاناته.

ولا يخفى وقوع الشاعر في (التضمين) بين البيتين الأخيرين ،حيــث ارتبط قبل الأخير بما بعده ولم يكتمل إلا به ،وهو وإن كان يُسهم في تحقيق الوحدة العضوية، إلا أن النقاد القدامى عدوه عيبا فنيا، ولــولا ذلــك لكــان للشعر العربي شأن آخر في عالم وحدة القصيدة .

وفي مقطوعة بعنوان (الناس) يعلــن الشــاعر ، ضــياع الصــداقة الخالصة ، وأن العقوق فطرة في البشر، والشاعر قــد عــايش مجتمعــات متنوعة وتنقل بين بلدان مختلفة ، لذا خبر الناس عن قرب وعايشهم حتــى فارقهم كارها مغتربا ، يقول على وزن (الرمل):[١]

أيُّها الباغي صديقاً ليس في الناسِ صديقُ

(١) ديوان الزركلي ، ص :٢٨٤ .

كــلُّ خِلٍ مُتَخَـــلٍ عنـــك إنْ مَسَّكَ ضيقُ
فاصحب الصاحبَ يحـــويك ويحويه الطـريقُ
خُـلِق الناسُ وفـي فطرتهم كان العقــوقُ

وتأكيدا لما سبق، يركز الشاعر على آفة اجتماعية ، آلمته كثيرا ، ألا وهي آفة الكذب والنّم بين الناس، لذا نراه في إحدى مقطوعاته والتي يعنون لها بـــ(يا للسواد) وكأنه يستغيث من أفعال القــوم، يقــول مــن مجــزوء (الكامل):[١]

أَبِـــح الوشايةَ للسَّوا دِ وقل : سننظر ، واسترحْ
تُصبحْ وحولك ألفُ نمّـ ـــامٍ يقــولُ ويقترحْ ...

والبيتان يقدمان مشهدا مسرحيا ، فالشاعر يجلس متفرجا بعد أن ترك المجال للواشين ليمارسوا دورهم، ثم يدعو إلى الانتظار والتأمــل ، ليــرى النتيجة فإذا بمئات منهم كل ينتظر دوره في الكذب والاقتراحات المزيفة ، ثم تأتي الفراغات المنقوطة ، كفضاء مفتوح دالة على أنهم سيخوضون في كل شيء.

ولشدة معاناته من آفة الكذب ،نراه يعنون إحدى مقطوعاته به ، وفيها يقول من بحر (الطويل): [٢]

أرى الكَذِبَ اعتاد الأنــام ورودَهُ فليس لِحيٍّ عن مـــواردِه دَرءُ
تـأصَّلَ داءٌ في النفوسِ ، فما امرؤٌ بناجٍ ،ولا منه لِذي مِـــقولٍ بُرْءُ
وفي الناس أقــوامٌ يُجيدون بَرْأَهُ فَيُنْجيهم مِنْ عـــاره ذلك البَرْءُ

(١) ديوان الزركلي ، ص : ١٢٨ .
(٢) السابق ، ص : ١٥٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَرُبّ امرئٍ إنْ فاه بالمَينِ لم يجد من الناسِ إلا قائلاً : صدَقَ المرءُ !

والبيت الأخير يصور مدى تفشي الكذب ، حتى إن الناس يصدقونه دون أن يعملوا فيه فكرهم ، بل هو مصدق من أول وهلة .

بسبب هذه الأوضاع الاجتماعية منفردة أو مجتمعة متسقة مع غيرها ، لاذ الزركلي بالمداراة يحتمي بها من البشر ، ويعالج بها غربته واغترابه ، يقول من بحر (المجتث) : (١)

قالوا : المداراة حزمٌ قلتُ : أجل واعتزمتُ
وطال بي ما أُعاني مما به قد بَرِمتُ
يا لائمي خَلِّ عني داريتُ حتى سئمتُ

وفيها يبدو الشاعر متناقضا مع نفسه في المقطوعة السابقة ، فالمداراة في نظره حزم ، كما أنه عزم على التحصن بها من ويلات ما يلاقي ، لكنه يصور في نفس الوقت شدة تبرمه منها ،حتى وصل إلى مرحلة السأم (داريتُ حتى سئمتُ) .

وفي رأيي أن لا تناقض في الأبيات أو شيء من هذا القبيل ، إنما الأمر منوط بشدة تأزم الشاعر، حتى صار لا يعرف لنفسه وجهة ، أيواجه الناس بأفعالهم ، أم يداريهم ؟ لكن المقطوعة تطلعنا على طبيعة الزركلي وطبيعة كل شاعر ، ألا وهي تصوير سلبيات المجتمع حتى يتسنى للمصلحين أن يجدوا لها علاجا ، لذا انتصرت المواجهة على المداراة التي سئم الشاعر منها ، مما يؤكد أيضا أنه لجأ إليها كثيرا حتى مل منها وضاق بها ذرعا .

(١) ديوان الزركلي ، ص :١١٣ .

ثالثا :الاغتراب السياسي / القومي

عاش الزركلي منذ شبابه الغض حياة النضال ضد الاحتلال ، واستمر على هذا النحو حتى الرمق الأخير من حياته، فكانت حياته لوحة قومية وطنية، فلقد اندمج في النضال منذ أن حكم عليه بالإعدام من قبل المحتل الفرنسي ، وسرعان ما شملت أشعاره شتى أنحاء الوطن العربي ، وكشفت ألاعيب المحتل الغربي وفضحت حيله ، وفندت مزاعمه .

من هنا جاء شعره مرآة لعصره وتحولاته السياسية ، مصوراُ تناقض القوانين الدولية ، خاصة عندما يتعلق الأمر بالعرب، ناعيا عليهم تفرقهم وتشظيهم ، وكثرة اختلافاتهم ، لذا عاد ذلك عليه بالقلق والسأم وشيوع خريطة الاغتراب في شعره ، على امتداد حياته كلها .

والاغتراب السياسي " شعور الفرد بالعزلة عن المشاركة في القرارات الحقيقية والفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه... "[١] ، وأكاد أجزم أن الاغتراب السياسي عند الزركلي يكتسي حُلة قومية وطنية خالصة، وليست القضية قضية مشاركة في صنع القرارمن عدمه ، فالمدة التي عاشها كانت من أحرج الأوقات في تاريخ الأمة العربية ،فالمحتل مسيطر على ربوعها ، من هنا سيقاومه في وطنه سوريا ، ويحكم عليه بالإعدام غيابيا ، لكنه ظل يقاومه بالقصيد فحكم عليه مرة ثانية ، وهنا بدأ يكشف زيف المحتل في سوريا وفي مصر والجزائر وفي فلسطين ، ومع كل هذه الهمة يصطدم بِفُرقة وتشتت وفتن طائفية ، لكنه لم يتقوقع على نفسه كما كان مقدرا له ، بل ظل البلبل الصداح في سماء القومية العربية ، حتى آخر لحظة في حياته.

---

(١) دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبداللطيف محمد خليفة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص: ٩٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ففي قصيدة (الصادعة) يخاطب الليل وهو رمز لطول الظلمة الحالكة على العرب، من هنا فهو يتطلع إلى فجرها ، قائلا من مجزوء الكامل : (١)

يا ليلُ كم أسهرتَ جَفنا هامِيَ العبراتِ هامعْ

أنْسيْتَ مَن ألفَ التوجُّـــعَ فيكَ كفكفةَ المدامعْ

طال انتظار صباحكَ الوضاحِ واختفت المطالعْ

ثم ينتقل إلى واحدة من منغصات حياته ،ألا وهي تصوير حال العروبـــة، عن طريق الاستفهام المنبئ عن التوجـــع والحســـرة، قـــائلا علـــى بحـــر (الكامل):(٢)

ما للعـــروبة يا ابنَها وَلْهى تَعَضُّ على الأصابعْ

ضمتكَ حانيـةً عليكَ تئنُ مِن هـول الفجائـــعْ

ورعـتْ عهودكَ بَـــرةً عهدُ الأمومـةِ غيرُ ضائعْ

خَلَّفتَـــــها مُلتاعةً تشكـــو اللواذعَ واللواسعْ

عَمِرتْ مرابِعُها زمانا ثم أقفـــــرتِ المرابـــعْ

وفي مقطع من القصيدة يقيم موازنة بين القوة والضعف، القوة ممثلة في المحتل، قبالة الضعف العربي ،ليعرج بعدها إلى أسّ الضـــعف العربـــي الماثل في الخلافات والتمزق ، مما أدى بالطبع إلى الهوان الشديد ، يقـــول على بحر (الكامل): (٣)

القوةُ انتفضتْ ، وحَلَّقَ نســـرها ، والجو خاشعْ

---

(١) ديوان الزركلي ، ص :٤٣ .

(٢) السابق ، ص : ٤٣.

(٣) نفسه، ص :٤٤.

البغيُ مِنْ أدواتهـــــا والخَتْلُ والكَلِمُ الخوادعْ
والفتــكُ والتدميرُ والإرهاقُ والنِّقَمُ القــوارعْ

هذا حال الغرب ، وتصور الأبيات السابقة بعضا من صفاته : البغــي، الكلم الخوادع، الفتك ، التدمير ... ،ثم ينتقل إلى الجهــة المقابلــة ، حــال العرب ،قائلا من وزن (الكامل) : (١)

والقومُ حولكَ سادرون تخــدَّرتْ بهم الطبائعْ
إما دعوتَهمُ إلى الجُلي تَمَطّــوا في المضاجعْ
القــوم مختلفون في شتـــــــى المزاعـم والمنازعْ
متعارضون ولا تعارضَ راجعــون ولا مراجعْ

ويشير الزركلي هنا إلى العرب باسم (القوم) وكأنه ليس واحدا منهم طالما كانوا على هذه الصفات .

وفي قصيدة له بعنوان (الفاجعة) والتي قالها إثر موقعة (ميسلون) يتحدث في بعض أبياتها ،عما حلَّ بوطنه وأمته ، ومدى الإحباط الذي يتملكه حزنا على وطنه سوريا ، يقول من وزن (الكامل) : (٢)

لَهفي على وطنٍ يجوسُ خلالهُ شُــذَّاذُ آفاقٍ ، شراذمُ ســودُ !
أَبَرابرُ "السنغال" تسلبُ أُمَتــي وَطَنــي ، ولا يتصدع الجُلمودُ !
شَرُّ البليــةِ ، والبلايا جَمَّةٌ أنْ تستبيحَ حِمى الكــرامِ عبيدُ !

وهي توثق استغلال الفرنسيين لأبناء البلاد المحتلة واســترقاقهم فــي نهب الدول الأخرى ، فــ (السنغال) كان محتلا من الفرنسيين ، وانظر كيف

(١) ديوان الزركلي ، نفس الصفحة .
(٢) السابق ، ص : ١١٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

استغل الفرنسيون أهله في نهب خيرات بلد آخر(سوريا) ، ثم ينتقل إلى تصوير وجعه الدائم وواحد من أسرار اغترابه ،ألا وهو التنافر بين أبناء الوطن ، قائلا من وزن (الكامل) :

مَنْ للحمى ؟ أَيَقِيهِ مِنْ عثراتهِ ... طُولُ الأناة ؟ وفي الأناة جُمودُ
زعماؤه متنافرون ، وأهله ... متناظرون ، وللعُداةِ وعيدُ
كمْ رددوا رأياً لعلَّ بِهِ الهُدى ... والرأيُ آفةُ نُجحهِ الترديدُ

ثم ينتقل إلى تصوير أثر ذلك فيه من حيرة وسهد وأرق ، وكلها مظاهر من مظاهر الاغتراب التي لا تفارق صاحبها ، يقول : (١)

ما لي تُساورني الهمومُ كأنني ... هَدَفُ الليالي والزمانُ يصيدُ
أُمسي وأُصبحُ كالمُدَلَّهِ حائراً ... يَعتادُني التأريقُ والتسهيدُ

ثم يختم القصيدة بحكمة رائعة عن قدرات الشعب إن عرف الحياة وقيمتها :

والشعبُ إنْ عَرَفَ الحياةَ فما له ... عَنْ دَرْكِ أسبابِ الحياةِ مَحيدُ .. !

وفي مقطوعة بعنوان (أخوان) وعنوانها مفارق كل المفارقة لأحداثها ، حتى يحدث الأثر في نفس المتلقي ، كما أن الأُخوة هنا هي أخوة قومية وطنية ، ولا تعني بالضرورة أخوة النسب وإن كانت تتحملها ، يقول من وزن (الكامل) : (٢)

انظرْ إلى الأخوينِ يصْطرعانِ ... أرأيتَ كيفَ تنمّر الأخوانِ ؟
أرأيتَ كيف غلتْ صدورٌ كاللظى ... أرأيتَ ما فعلتْ يدُ الشنآنِ ؟
متنافران على اتفاق رغائبٍ ... متعاديان ، على اتحاد أماني
الضادُ والسبعُ المثاني وَحَّدا ... شمليهما ، وتقلبُ الحدثانِ

(١) ديوان الزركلي ، ص : ١١٨ .
(٢) السابق ، ص: ٢٥٨ .

كيف السبيل إلى التئام هــواهما والخُلفُ يَهْدمُ ما الوفاقُ البانِي

وتصدر المقطوعة بالاستفهام ثم تكراره ، إنما يعبر عــن الإحباطــات المتكررة والشديدة التي يعانيها بسبب تفرق العرب .

وتأمل معي مفردات المقطوعة : يصطرعان ، تنمر ، غلت ، اللظــى ، الشنآن ، متنافران ، متعاديان ، وكلها تصب في قالب الفتنــة ، ثــم يعــود فيذكرهم بما يوحد بينهم : اللغة ورمز لها بالضاد ، والسبع المثاني فاتحــة القرآن الكريم ، ثم يضيف إليهما تقلب الحدثان .

وفي قصيدة قصيرة بعنوان (بحسبك) يصور فيها جزعه وشدة بكائه وطوله على ضياع المجد العربي ، ثم يداوي اغترابه بتــذكر أيــام العــرب الأولين، قائلا من وزن (الوافر) : (١)

بِحسبِكَ ما أجدّك في العويــلِ أما لنفاد دمــعكَ من سبيــلِ
وقفتَ على طُلولِ العُربِ تبكي وما يُغني البكاءُ على الطُــلولِ
أتذكرُ عِزةَ الحِقَبِ الخــوالي و ما عُوضتَ من جيلٍ بجيــلِ
وتَرضى أن يُقالَ : بَنَى الأوالي وما نبني سِوى قالٍ وقيــــلِ

ثم يقيم موازنة بين العرب وغيرهم :

توحدتِ الممالكُ وافترقنــــا إلى شيعٍ ، فكلٌ مِنْ قبيــلِ

ثم يصور الشعارات الجوفاء الفارغة من أي مضمون ، والتي أرهقت الأمة ردحا من الزمن ، مصورا التناقض الواضح بين المظهر والمخبر : (٢)

(١) ديوان الزركلي ، ص : ٢٦٥ .
(٢) السابق، ص :٢٦٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

متى تَزَغُ الرجالَ بنا عقولٌ ... وأدمغة الرجالِ بلا عقولِ

ترى لهمُ مظاهرَ خالباتٍ ... كأنّ المجد تجريرُ الذيولِ

وتسمعُ دمدماتٍ راعداتٍ ... كأنَّ العزّ في قرعِ الطُبولِ

وتدعوا الحيَّ تحسبه مُجيباً ... وما في الحي غيرُ ونىً قَتُولِ

وتأمل قوله (تجرير) بتكرار حرف الراء وهو حرف تردد وكأنه يصور تلك الجرجرة الدالة على المهانة والصغار، ثم يقيم مفارقة رامزة أيضا ، فحين تسمع (دمدمات راعدات) تحس وكأن العرب قرعوا طبول الحرب ، وإذ بها طبول أخرى ، وهي تصور تدني الهمم إضافة إلى الذلة والضعف .

ثم يختم القصيدة ببيت كالصك يوجز أبعاد القضية برمتها :

على الآفاقِ أحداثٌ جِسامٌ ... ونحنُ نُغُطُّ في نومٍ طويلِ

وفي مقطوعة بعنوان (رأيان) ، يقول من وزن (الطويل): (١)

تَنَازعهُ الرأيانِ : هذا مُشَرِّق ... وذلك مِن وحي الحيارى مُغَرِّبُ

وقام بعبء الأمر، والنهي حوله ... رجالٌ لهم في نبذ الاثنين مأربُ

سياسةُ قومٍ لا يَقِرُّ قرارُها ... يُعالجها مَنْ بات بالنار يلعبُ

إذا لم يكن للمرء في الأمر مذهبٌ ... تخبَّط في دَيْجوره حيثُ يذهبُ

وهذه المقطوعة سطرها الشاعر عام (١٩٥٧م) وهي تصور توزع العرب بين مُشرق مؤيد للاتحاد السوفييتي آنذاك ، ومُغرب مؤيد للغرب على

(١) ديوان الزركلي ، ص: ٢٩٧ .

العموم وأمريكا خاصة ،ولكن المفارقة تكمن في الفريق الثالث فهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وهنا تنتاب المتلقي أريحية على أساس أن هذا الفريق سيكون وطنيا قوميا ، لكننا نفاجأ حين ينادي هؤلاء بنبذ الفريقين ، وبدلا من أن يدعو لوحدة عربية ، بدأ ينادي بمبادئ لا تتعلق إلا بمصلحته الضيقة والخاصة به دون إعلاء مصلحة الوطن ، لذا شبههم بمن يلعب بالنار (يعالجها من بات بالنار يلعب) .

وفي قصيدة بعنوان (هنا وهناك) يصور في مقدمتها مدى انقسام نفسه عليه في حوار خارجي دالٍ ، محاولا أن ينفي عن نفسه التواني والكسل، حتى وصل إلى مرحلة من النرجسية والتفرد ، وهو ما يمثل تعويضا عن ألمه واغترابه كما سنبين لاحقا، يقول من وزن (الوافر): [١]

إلامَ وما مرامُكَ من مرامي ... تُعاتبني وتُكثرُ من مَلامي

تَزيد لجاجةُ ، وأزيد صبرا ... وتَرميني ، وما أنا بالمُرامي

أتَزعمني وَنَيتُ فما أبالي ... أحيَّ على النُهوضِ أم المقامِ

إذا انتحب الزمان فلانتحابي ! ... وإن بسم الزمان فلابتسامي!

كأني طائرٌ في أفقِ طامٍ ... يَحومُ ، ولا قرارَ على الطَّوامي

ثم يلتفت ببصيرته الشعرية من معاناته الخاصة إلى معاناة الأمة وتفرقها وتمزقها ، قائلا : [٢]

تَجَهَّمتِ النُكوبُ لهم فباتوا ... أسارى في العراق وفي الشآمِ

---

(١) ديوان الزركلي ، ص:٣٢٥.

(٢) السابق ، ص: ٣٢٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَقُسّمت البلادُ لهم فراحوا ... وَوَحـدتهم تصيرُ إلى انجذامِ

أَمُنتَسبٍ (لآشورٍ) ومـــاضٍ ... بنسبته إلى (إرم) بن (سامِ)

ومُنْقَطعٌ تـردد بيْـنَ بيـــْنٍ ... فحار ، فحاد عن طُرق الزِّحامِ

وكانوا أمةً سادتْ وشـــادتْ ... مُـــوَحدةَ المنابتِ والمَنـامي

فَبُتَّ الحبلُ وانقسموا شُعوبا ... فلا قُـــربى ولا صلةُ التحامِ

ثم يعلن عن شكواه المريرة من هذه الفوضى وذاك الانقسام :

وما شكوايَ أو شكـــواكَ إلا ... لِفوضى في المجامعِ وانقسامِ

ترى كلا له أمـــلٌ وســعيٌ ... وما لاثنين حـــولك مِنْ وئامِ

وأحزاباً إنْ التأمتْ فليستْ ... تـــدورُ بها الأمورُ على التئامِ

ثم ينتقل إلى حال الزعامات المتنافرة، والتي أرقت مضـــجعه كثيـــرا ، فانعكس ذلك على شعره فأفرد لها فضاء يتناسب وأهميتها :

لكـــلِ جماعةٍ فينا إمامٌ ... ولكنَّ الجميعَ بلا إمامِ

تعددتِ الزعامةُ فاستقلتْ ... بها زُمَرٌ تسير بلا نظامِ

وهي قصيدة مليئة بالإسقاطات الفردية والجماعية ، تجمع بين الواقع الممض والماضي الزاهي التليد ،في محاولة للاستشفاء بالماضي من عبـــث الحاضر .

ونتيجة لما سبق من صور التفرق الاجتماعي والوطني ، وما تم على إثر ذلك من هوان واضح ، بدأ الغرب يكيل بمكيالين في كل ما يخص الشأن العربي ، سواء من (عصبة الأمم) أو (لجان تقصي الحقائق) أو لجـــان

(المراقبة) كلها عملت على زرع الفتن في الصف العربي ، ووأود وحدته ، وغض الطرف عن الحقائق ، لذا نراه يصور الاغتراب الجمعي الذي أصاب العقل العربي .

ففي قصيدته (يا راقدين) والتي توثق حضور لجنة الاستفتاء الأمريكية إلى الشام سنة ١٩١٩م ، يقول من وزن (الكامل) : [١]

يا أُمةً وقفتْ على حُبِّ العُلى ... أفلاذَها والشِّيبَ والشُّبانا
لَبِسَ العُداةُ لها الرياءَ جَلابِبا ... وطَوَوْا لها الأحقادَ والأضغانا
همْ عاهدوكِ على الوفاءِ وما وَفَوْا ... وَوَثقتِ منهم بالحليفِ فخانا
عطفوا على الضعفاء حتى خَيَّلوا ... لَهُمُ المخاوفَ موئلا وأمانا
وحَنَوْا على الإنسان حتى اسْتَوْثَقُوا ... مُتَحكمين ، فأنْكَرُوا الإنسانا !

ثم ينتقل إلى لجنة الاستفتاء والتي يفترض فيها العدالة والحياد :

ما بَالُ مَنْ حَمَلَتْ موازينَ الهُدى ... أعضادُهُم لم يُحسنوا البُرهانا
إن لم يُغيثوا المُستغيثَ ويَنْصُروا ... مُسْتَنْصِرا فَلْيكْسِرُوا الميزانا !

فالرياء صار جلبابا يلبس ، هذه الاستعارة المكنية توحي بشموله حالهم ومآلهم ، هذا على مستوى الظاهر ، أما الباطن فهو مشمول بالأحقاد والأضغان .

رابعا : الاغتراب المكاني

وهو " إحساس يشعر به الإنسان في بعده عن وطنه، أو مكان إقامته، وهذا النوع من الاغتراب أكثر ما نراه ماثلا عند الشعراء الذين ابتعدوا عن أوطانهم وديارهم، وانتقلوا إلى أرض أخرى لم يألفوها، فعاشوا فيها غرباء،

(١) ديوان الزركلي ، ص : ٢٤ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يعانون ألم الفراق، والشوق، والحنين إلى أوطانهم التي لا تفارق صورتها خيالهم " [١].

وشاعرنا (الزركلي) كما قلنا خرج من وطنه فارا من جور المحتل الفرنسي ، وحكم عليه بالإعدام مرتين، كما أنه تنقل بين عدد من العواصم والبلدان ،لكنه لم يجد فيها ما يعوضه عن فقده وطنه ،فاجتمع عليه اغتراب مكاني واغترابات أخرى سبق الحديث عنها، لذا فأغلب شعره لا يخلو من ذكر الوطن ووصف مشاعره وقلقه وحدبه عليه، بل كان بعده عنه هو وقود تجربته الشعرية التي لم تنضب طوال حياته التي عايش من خلالها عددا من الهزائم والانكسارات العربية.

وتتصدر قصيدته (نجوى) المشهد الشعري عنده، فكانت أولى قصائده في الديوان، وهي يصور فيها مدى الحرمان والإحباطات التي يعانيها بسبب بعده عن وطنه، ويقسمها إلى عدة أجزاء، في الأول منها يتقاسمه أثر الاغتراب المكاني على العين والقلب، أما الثاني فمنوط به وصف حال الوطن وما آل إليه، أما الثالث فكنى فيه عن الوطن بالطائر ، ثم ختم القصيدة ببيتين يغلب عليهما طابع الحكمة ، واحدة عن حال الغريب ، والأخرى عن قدر الوطن وقيمته .

يقول في الجزء الأول والذي تكفل بتصوير أثر الفراق على العين والقلب، وهي من وزن (الكامل) : [٢]

---

(١) مجلة الكوفة ،(الغربة في شعر المتنبي، عبدالرحمن الهويدي) العراق، مج ٥،ع ١ ، ٢٠٠١م ، ص : ١٨ .

(٢) ديوان الزركلي ، ص : ٢١ .

العينُ بعدَ فراقها الوطنـــا ... لا ساكنا ألِفتْ ولا سَكَنَـــا

رَيّـــانةٌ بالدمع أقلقهـا ... أن لا تُحِسَّ كَرىً ولا وَسَنَا

كانت ترى في كل سانحـةٍ ... حُسْنَا، وباتتْ لا ترى حَسَنَـا

والقلب لولا أَنَّةٌ صَعِـدَتْ ... أنكرتُـهُ وَشَكَكْتُ فيه أنَنَـا

ليتَ الذين أُحبهم علمـوا ... وَهُمُ هُنـالك ما لقيتُ هُنـا

ما كنتُ أحسبني مُفارقَهـمْ ... حتّى تُفـارقَ روحَيَ البدنـا

يصور الشاعر في هذه المقطوعة عينه وقد فقدت الإنسان والمكان معا (ساكنا ، سكنا) ،وهي غزيرة الدموع كذلك ،ولم تعد تـرى شـيئا حسـنا أمامها، وكان على القلب أن يستجيب للعين فيشاركها اغترابها .

ولقد استعان الشاعر على تصوير اغترابه وحنينه إلى وطنه بالجناس (ساكنا، سكنا) ، (حُسنا ، حَسنا)، (أَنة، أننا) مع شيوع (لا) النافيـة والتـي تعهدت بنفي الجمال والحسن عن الأماكن التي حل بها بعيدا عن وطنه .

وفي الجزء الثاني والذي يصور فيه الوطن قبالة الزمن ، وعبثه بـه، وما فعله المحتل الفرنسي به مستخدما أسلوب المفارقة، فعطف المحتل كله أذى، ثم تزداد المفارقة قساوة حين يمنون على الوطن بهذا الأذى فيرونـه مِنّة ونعمة ، وحين حنوا على الوطن جردوا له الأسـلحة والأسـنة حنانـا وشفقة ، يقول من وزن (الكامل) : [١]

يا مـوطِنَا عبِثَ الزمانُ بهِ ... مَن ذا الذي أغرى بكَ الزمنا

قد كان لي بك عن سواك غنى ... لا كانَ لي بسواك عنك غِنى

(١) ديوان الزركلي ، ص : ٢١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ما كنتُ إلا روضةً أُنُـــفا كَرُمَتْ وطابتْ مَغرِسا وَجَنَى

عطفوا عليك فأوسعوك أذى وهُمُ يُسَمـــــون الذى مِنَنا

وَحَنَوا عليكَ فجردوا قُضُبَـا مَسْنُـــونةً وتقدموا بِقَنَـــا

ويكاد يكون الجزء الثالث تكرارا عن الثاني ، مع فارق يسير ، وهـــو أنه يخاطب الوطن في صورة الطائر، وأخذ يتذكر معه ذكرياته وأحبته ، ثـــم يختم القصيدة كما بدأها بحال الغريب وقيمة الوطن : (١)

إنَّ الغـريبَ مُعَذّبٌ أَبَـــدَاً إنْ حَلَّ لَمْ يَنْعَـم وإنْ ظَعَنَا

لوْ مَثَّلوا لي مَوْطِني وَثَنـاً لَهَمَمْتُ أعبُـدُ ذلك الوَثَنَـــا

والبيت الثاني يحمل مبالغة وغلوا لا نوافقه عليه، يذكرنا بقول شوقي: (٢)

وطنـــي لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلـد نفسي

ولقد توقف النقاد والباحثون طويلا ، أمام بيت شوقي ما بين مؤيد له ومعارض لغلوه ، ولكنهم لم يلتفتوا إلى بيت الزركلي السابق ،مع أنه أكثـــر مبالغة وغلوا من بيت شوقي ، فلقد انسحب عليه ما انســـحب علـــى شـــعر الزركلي كله ، من إهمال قاسٍ بقصد أو بغير قصد .

وفي قصيدة أخرى بعنوان (بين مد وجـــزر) نلحـــظ أن الاغتـــراب المكاني ازداد قساوة ، حتى وصل به إلى مرحلة فقـــدان المغـــزى ، وقمـــة الإحباط ، فصار لا يفرح لخير يناله، ولا يحزن لشر يصـــيبه ، يقـــول مـــن مجزوء (الكامل) : (٣)

---

(١) ديوان الزركلي ، ص : ٢١ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، أحمد شوقي، ج٢، دار العودة، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص : ٤٦ .

(٣) ديوان الزركلي ، ص : ٦٦ .

عَوّدَني مَرُّ صُبحـــــي وَمَـرُّ ظُهري وعَصري
ألاَّ أُســـرَ لِخَيـــــرٍ ولا أُســاء لِشَـــــرِّ
أنا المشردُ عن مَـــــوْ طني ومطلعُ فجـــري
لا أستقـــر بمصـــرٍ حتى أُراني بمصـــرِ
أضرب في الأرض أطوي قفـــراً وآوي لقفـــرِ
يقذف بي البرُ للـــــــبحر والخِضّـــم لِـــبرِ
كأنني بين هذيـــــــ ـن بينَ مـــدٍ وجـــزرِ

وفي مقطوعة بعنوان (يا اغترابي) يتذكر عهد الصـبا، طالبـا مـن اغترابه أن يخلي بينه وبينها ، ثم يصور نفسه فريسة بـين جـد الزمـان وهزله ، قائلا من وزن (الخفيف): (١)

ذكرياتُ الهوى وعهدُ التصابـي خَـلِّ بيني وبينها يا اغترابي
يبْسِمُ الطيفُ لي فتبسمُ رُوحـي وتلـوح النوى فأذكر ما بِـي
بين جِـدِّ الزمـانِ وهـزلٍ ضاع ما كان مسعدي مِن شبابي

وعندما زار (صقلية) تنازعه حنين من نوع آخر ، حنين إلى اللسان العربي ، متمنيا أن يسمع صدى من رفاة الغزاة العرب، وهذا الـنهج يؤكـد بروز طابع القومية العربية ، فـي كـل اغترابـاتـه ، سـواء النفسـية أو الاجتماعية أو المكانية ، كما نراها هنا ، يقول تحت عنوان (على شـاطئ صقلية) وهي من مجزوء(الوافر) : (٢)

مَضيتُ أطـوف بأنحائهـا وأُصغي إلى لحنِ أحيـائها

(١) ديوان الزركلي ، ص : ٢٨٠ .
(٢) السابق ، ص : ٣٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لعلّ بها عَرَبـــيَّ اللســانِ طَــواهُ الزمانُ بأحشائهـا
لعلَّ صدىً من رفاة الغــزاة يُــرددهُ بعضُ أصــدائها
مَنازلُ رُصَّتْ كَرَصِّ الخيــامِ قِصــارٌ كقامات أبنائـها
تنــكر لي أهلُها فانثنيتُ ولم أُرْوِ نفــسيَ من مــائها

وهو يسير فيها على نهج المتنبي ، حين زار شِعب (بوان) ولم يجد أثرا للعربية ولا للعروبة، فقال : (١)

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمــان
ترى الفتى العربــي فيهــا غريب الوجه واليد واللسان

مظاهر التعويض عن الاغتراب في شعر الزركلي :

عندما يشعر الإنسان – أي إنسان – بنقص ما ،فإنه يحاول أن يعوض هذا النقص بوسائل عدة ، فما بالنــا بالشــعراء بأحاسيســهم وعــواطفهم الملتهبة، وهذا التعويض تفرضه التجربة الشعرية بحسب تعاستها وقســوة واقعها؛ لذا فهو يأتي داخل النص طوعا ودون إكراه من الشاعر ، وإنما عن طريق حوار الوعي واللاوعي .

ومن وسائل التعويض التي لجأ إليها الزركلي :استحضــار الــذكريات خاصة أيام الصبا والشباب، فنراه يتوسل للاغتراب أن يُخلــي بينــه وبــين ذكرياته، وكأنه يقف أمامه حاجزا عنه كل شــيء حتــى نعــيم الــذكريات والحنين، يقول بعنوان (يا اغترابي) من (الخفيف): (٢)

ذكريات الهوى وعهد التصابي خَلّ بيني وبينها يا اغترابــي

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري ، مج :٤ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
(٢) ديوان الزركلي ، ص ٢٨٠.

يبسم الطيف لي فتبسم روحي وتلــوح النوى فأذكر ما بـــي
بين جِــد من الزمان وهـــــزلٍ ضاع ما كان مسعدي من شبابي

ومنها : استحضار الماضي العربي التليد، إما عن طريق سرد أحــداث أو وقائع معينة ، أو تذكر شخصيات تاريخية عربية ، وكأنه يصنع لنفســه عملية إيقاظ من كابوس يراه ماثلا أمام عينيه، فيحاول أن يصــنع لنفســه استفاقة منه باجترار الماضي .

ولكي يضع المتلقي في بوتقة الحدث نراه يقدم صــورتين متــوازيتين للعرب والغرب ،وعندما يجد صورة العرب باهتة ضعيفة يعود مسرعا إلــى الماضي وكأنه يستشفي بالتاريخ العربي، ففي قصيدة (يا زمــان) بعــد أن قدم بكائياته تجاه وطنه، فبكى الديار والنفوس وضياع البلاد، نراه يلتفت في عجل إلى الماضي مستشفيا وواعظا، جامعا بين التكرار والاســتفهام، ممــا يؤكد إلحاح الفكرة عليه، يقول : [١]

أين بنــو هاشم الأولـــون ،
أين البنون ؟
أين بنــو أمية ، الفاتحــون ،
ينتقمون ؟
أين بنــو العباس ، أهل الفنون ،
يحتكمون ؟
أين بنــو فاطمة الغابــرون ،
هل يُبعثون ؟

(١) ديوان الزركلي ، ص : ٣٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فاستحضار(بنو هاشم) وخاصة (الأولون) وبني أمية، ثم بني العباس، ثم الفاطميين ، ولكل خاصية يُعرف بها : الفاتحون ، أهل الفنون ، ولكل دوره كذلك : ينتقمون ، يحتكمون ، يضاف إلى ذلك الجمع بين التكرار والاستفهام، مما يدل على الإحساس الشديد بالانهزامية ،وكأنها صرخات حائرة تصم آذان العربي المعاصر، كما أنها تصوره كذلك وكأنه يستجدي التاريخ في أن يعيد ولو مجد عصر من هذه العصور .

وفي قصيدة(صقر قريش) والتي يسرد فيها قصة هروب (عبدالرحمن الداخل) حتى إقامته خلافة أموية جديدة في الأندلس ، وهي قصيدة طويلة مليئة بالحكم المستوحاة من تجارب التاريخ ، نراه يستشفي من واقعه المغترب بقوله من وزن (البسيط) : (١)

يا دمعةً لِيَ في أطلال قرطبةٍ ... أَثَرْتِ لا عِجَ وَجْدٍ كان مخزونا
أَعَدتِها ذكرياتِ الأمسِ ، رائعةً ... لله أيّةُ ذكرى ما تعيدينا
أيامَ كان قِيادُ الدهرِ في يدنا ... نُعطي ونمنعُ مَنْ شينا وما شينا

وفي مقطوعة له بعنوان (إلى الرشيد) يقول من وزن (الوافر) : (٢)

إليك " أبا الأمين " العُربِ تشكو ... مَرَاراتٍ تفيضُ لها الشؤونُ
نوائبَ مُدْلَهِمَّاتٍ توالت ... كما تتعاقب السُحُبُ الدُجُونُ
إلى "المأمون "تشكو ما عراها ... ويبكي قبل مَبْكاه " الأمينُ"

(١) ديوان الزركلي ، ص : ٨١ :٨٦ .
(٢) السابق ، ص : ١١٥ .

وفيها يتوجه بالشكاية للرشيد وابنيه الأمين والمأمون ، وكأنه عدم من يصلح للشكاية في زمنه، فراح يستدعي هذه الشخصيات بتاريخها وانتصاراتها، يشكو إليهم ويعوض بذكرهم تاريخا من الانكسارات والهزائم .

وفي قصيدة (قلاع البحار) والتي قالها بمناسبة رسو أسطول إحدى الدول الغربية في ميناء بيروت، وفيها يصف قوة هذا الأسطول وشدة منعته ، واستبعاد أن ينال منه طالب ، وفجأة يعود إلى الماضي العربي مستحضرا ما يماثله في القوة والمنعة ، مستحضرا أسطول معاوية (رضي الله عنه) ليصنع تعادلا وتعويضا داخليا يقدم له هدأة نفسية وفكرية عما يراه، قائلا من وزن (البسيط): (١)

قل "لابن هندٍ" وقد غَطَّتْ سفائنُه ... وَجْهَ الخِضَمِّ وحامتْ فيه تزدحمُ
تجري بها عاصفاتُ الريحِ خاضعةً ... لها الملوكُ تُحَييها فتحتكمُ
يحوطها مِنْ هُداةِ الناس طائفةٌ ... يُنمى لها الأبيضُ البتارُ والقلمُ
هُمُ الملائكُ إلا أنهم خُلِقوا ... من التراب، وهُمْ في الجحفل القِمَمُ

وفي قصيدة بعنوان (فيم الونَى) والتي يصور فيها كيف تُقسم الأوطان، كما يوثق إخلاف العهود الدولية ، نراه بعد أن يصور كل ذلك ، يعود إلى الماضي مستعيضا به عن هزيمة الحاضر الذي يعيشه مغتربا مهزوما ، يقول من وزن (البسيط) : (٢)

سَلْ عهدَ "غسانَ" هل من عثرةٍ لهمُ ... ليستْ تُقالُ ؟ وما مِن عثرةٍ لهمُ
أكان بالله جُرماً غيرَ مُغتفرٍ ... لآل عدنانَ أن سادوا وأن حكموا
مَنْ ذاكرٍ لبني العباسِ مَثْلَبَةً ... والليلُ إنْ ذُكِر العباس يبتسمُ

(١) ديوان الزركلي ، ص: ١٩٥ .
(٢) السابق ، ص :١٢٥، ١٢٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن أعلى درجات التعويض : محاولة إظهار تفرده وتفوقه على المحيطين به، حتى ليصل أحيانا إلى حد النرجسية ، والتي يسير فيها على نهج المتنبي ، لأنه يلبسها ثوبا شفافا من الحكمة في كثير من أشعاره .

ولنتأمل هذه الأبيات المتفرقة ، والتي هي في الحقيقة نماذج لتفرده وليست حصرا لها، فهي ظاهرة طاغية في شعره :

ما ضاق بي بلدٌ مما نزلتُ بهِ وإنما صغرتْ في عيني الدولُ [١]

قل للذين تعالوا وابتنوا دولا نا الغنيُ عن الأعلين والدول [٢]

ليس الوقوف على الأبواب من خلقي ولا التمسح بالأعتاب من عملي

قالوا : اتهمتَ، فما باليتُ ما زعموا يأبى لي الخلق العالي ويشمخ بي [٣]

وما يضير عقاب الجو إن علقت بظل جنحيه أدران من العشب ؟

ولي في كل وادٍ حين أُشجى وأطربُ ، ما علمتِ من الهيام [٤]

إذا انتحب الزمان فلانتحابي! وإن بسم الزمان فلابتسامي !

ومن مظاهر التعويض عند الزركلي عن اغترابه :لجوؤه إلى القراءة والاطلاع ، يقول من وزن (السريع): [٥]

أصبحتُ ، والوحشة أُنسي ، وما أرى بِمَنْ حولي مَنْ أعرفُ

أخلو بِأوراقي ، فإن لم يَطُفْ بي هاتفٌ ، فإنها تهتفُ ...

إن غاب مَنْ أُصغي إلى قولهِ حَدَّثَتِ الأسطرُ والأحرفُ !

---

(١) ديوان الزركلي ، ص : ١٣٧.
(٢) السابق ، نفس الصفحة .
(٣) نفسه ، ص :٢٦٥ .
(٤) نفسه ، ص :٣٢٥ .
(٥) نفسه ، ص : ١٠٨ .

وفي مقطوعة بعنوان (عناء ووفاء) قالها وقد فكر في الاستقالة والانقطاع إلى كتبه ، يقول من وزن (الوافر) : [١]

يُخامرني أنْ أستعيدَ دفاتري وأُعفيَ نفسي مِنْ قيودِ جهادي

وفي مقطوعة بعنوان (إنسانة وكتاب) يضيف إلى الثقافة والاطلاع رؤية الوجه الحسن ،يقول من وزن (الخفيف) : [٢]

لستُ في الناسِ مِنْ غُلاةِ الأماني والأماني عِذابُهنّ كِذابُ

كل ما أشتهيه ، إنسانةٌ يحـ ـلو لِعَيْنيّ وجهُها وكِتابُ

وكأن الشاعر قد وصل إلى مرحلة شديدة من اليأس والاغتراب ، فما عاد يشتهي منصبا أو مجدا فرديا أو حتى وطنيا ، وصار الجمال والثقافة كل بغيته ، وحق له ذلك فموسوعة (الأعلام) تشير إلى ثقافته وموسوعيته ، إضافة إلى بقية مؤلفاته التي سبق ذكرها.

(١) ديوان الزركلي ، ص : ١٢٤ .
(٢) السابق ، ص : ١٥٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المحور الثالث : الأساليب الجمالية

للاغتراب سطوته على التجربة الشعرية ومتطلباتها ،فاغتراب الشاعر ينعكس على العملية الإبداعية من كل جوانبها، فإذا كانت التجربة ناضجة اتسق الشكل والمضمون ليتعاونا في تقديم رؤية شمولية للمتلقي تقنعه وتغريه بالسير في فلكها .

كما أنه يستدعي من الأساليب ما يتسق مع تلك التجربة ، فتأتي هذه الأساليب متضافرة تعكس رؤية الشاعر ، ومن أهمها : الاستفهام ، والنداء، والتكرار ، ثم تأتي الحكمة بتكثيفها وخلاصة تجارب صاحبها معبرة عن القيمة الخلقية والعبرة التي يود الشاعر إيصالها للمتلقي وإقناعه بها، والتي جاء بعضها في وسط القصيدة، وجاء بعضها الآخر ختاما لها وكأنه إسدال للستار على أحداث مسرحية تمثل مسرح الحياة .

وبين الاستفهام والاغتراب صلة وثقى، فالمغترب يعبر عن حيرته وتخبطه بأسئلة حيرى؛ لذا فصور الاستفهام " هي المُعَوّل عليها في شعر الغربة، وهي الأساس في البناء، إذ إن الشاعر المغترب يعاني مصيرا مجهولا بين هجرة وسجن، ووطن ضائع ، وقيم عربية إسلامية زائلة، ولا يدري أنه يرسل ذلك الاختناق في شكل أسئلة حيرى، تنم عن عميق الإحساس بالغربة التي فرضت عليه ... "(١).

وصور الاستفهام في شعر الزركلي تأتي على مستوى العنونة ، وداخل القصيدة كذلك ، وهي بهذا إنما تمثل بنية ملحة عليه تطارده وتستبق فكره

(١) الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، عمر بو قرورة ،منشورات جامعة باتنة، ص ٢٣٣، د طـ ، د ت .

وصوره، ومن ذلك :(أذاكرة، فيم الونى، ما بال ساراي، ما تراها، متى)، والمتأمل في ديوان الزركلي يلحظ أن العنوان يتكرر بنفس الصيغة داخل القصيدة، أو المقطوعة مرة أو مرتين، وذلك يصنع الانسجام بين العنوان والقصيدة من جانب ، كما يسهم في قوة الاستحواذ على المتلقي ، وفي أحيان أخرى يحتاج الأمر إلى كثير من أدوات الاستفهام في القصيدة الواحدة، تأكيدا لاستفهام العنوان وتعضيدا له، نظرا لطول القصيدة من ناحية وخطورة الموقف الذي تولى الاستفهام تصويره والدوران حوله من ناحية أخرى، " ... وشدة معاناة المغترب تدفعه إلى فقدان التوازن؛ لذا يلجأ إلى كثرة التعامل مع أدوات الاستفهام " (١) .

أما على مستوى القصيدة من الداخل، فتأتي الغلبة للهمزة، والتي جاء الاستفهام فيها أحيانا على حقيقته، وأحيانا خرج إلى معانٍ أخرى كالتعجب والسخرية والإنكار ، من صور ذلك (أتهزل في عتوك أم تجد، أكلما قلت هذا صالح كشفت، أرأيت كيف تنمر الأَخَوَان ، أرأيت كيف غلت صدورهم، أرأيت ما فعلت يد الشنآن ،أي معنى للعيش، أيضحك ذو اللب، أَبَرابِرُ السنغال تسلب أمتي، أتذكر عزة الحقب الخوالي، أيقيه من عثراته طول الأناة، لست أدري أغريق أنا أم شبه غريق، أما للرشد بعد التيه باب).

ويليها في الحضور على مستوى القصيد (أين) والتي تولت البحث عن أحلام الشاعر: أحلام الوحدة، أحلام النصر، أحلام العودة للماضي ، ومن صورها: (أين الظُبا، أين القنا، أين أولو طعانها، أين صفوي، أين زهوي، أين آساد يعرب، أين شُوشُ الأهرام، أين آساد الشآم) ،كما نلحظ وتأبى

(١) مجلة عالم الفكر، (الغربة المكانية في الشعر العربي) ، مج ١٥،عدد ١، ١٩٨٤، ص ١٣٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اسمية الجملة إلا أن تكون داعمة لهذا البحث المستمر عن تلك القيم الضائعة بشخوصها وأدواتها .

ثم تأتي بقية أدوات الاستفهام الأخرى بنسب أقل من سابقاتها ولكن الموقف الدرامي يستدعيها، ومن ذلك : (ما العالم المرئي، ما أشباحه، ما لبنيها كلهم في اكتئاب، ما الذي تبصره عيناي ، ماذا جنيت على الأيام، متى ترى تبسم لي يا زمان، هل في الجزيرة مسعف بجواب)، وهي في مجموعها تصور مدى معاناته وحيرته ومدى رغبته في أن يجد إجابات شافية لأسئلته الحيرى " إن شعور الشاعر بالاغتراب شعور يختلف عن شعور الآخرين به في درجة حدته وقوة المعاناة، شعور لا تخف حدته عند الشاعر إلا بإخراج قناعته من حيز الكتمان إلى حيز الوجود والتعبير عن أحزانه وآلامه، وإيصال صوته إلى الآخر في محاولة منه لإقناعه بضرورة الانضمام إلى عالمه المليء بالإحساس المرهف" (١).

وهكذا فإن جماليات الاستفهام في شعر الزركلي تبقى منفتحة الدلالة على كل قراءة، فهي تمثل بكائيات للشاعر وعزاء يهدهد به تلك العواطف الملتهبة بداخله، فأغلبها ورد في أشعار وطنية خالصة، زيادة على أنها تمثل تأكيدا للمعنى الذي أراد إيصاله للمتلقي وإقناعه به .

ومن الأساليب التي كان لها حضورها اللافت عند الزركلي، حتى أضحت بنية من بنى شعره: أسلوب النداء، والذي اقتصر على أداتين فقط ، هما : (يا) و(أيا) ، وصوره تشي بجلجلة خطابية واضحة في شعره، على

(١) الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي مقارنة موضوعاتية للخطابات الشعرية لإ يليا أبي ماضي وإبراهيم ناجي وأبي القاسم الشابي، د. محمد الهادي بو طارق، ص ٥١، دار الكتاب الحديث ، ٢٠١٠م .

عادة الشعراء العرب القدامى، وكأنه في محفل، أو أنه يتمثل المتلقين أمامه، آملا أن يسمعه كل عربي عاشق لوطنه ، وهي صورة توحي بحيوية التجربة لديه.

ويتوزع أسلوب النداء في شعر الزركلي خطابان: خطاب وطني يأتي فيه النداء كأنه صرخات لإعلام المتلقين بقيمة الوطن وضرورة السمو به ، ونبذ الخلافات بين أبنائه، ومنه : (يا موطنا عبث الزمان به، يا راقدين، يا أمة وقفت على حب العلى، يا راقدين على الهوان ، يا عابثين بأمة نهضت، يا حاملي علم الشقاق، يا رجال العرب ، يا حماة الجار، يا أيها السادر في لهوه ...) ، وخطاب شخصي يصف فيه حالته الاغترابية ، وفيه يناجي الطبيعة بمفرداتها في حالتي الفرح والحزن معا : (يا طائرا غنى على غصن، أيها الطائر غرد واصدح، يا زمان الصغار، يا زمن الشؤم، يا زمن ازدد عتوا، يا ليالي اكفهري، يا نجوم تواري، و يا عواصف مُري، يا سماء ابتهجي، يا فجر ابتسم، ومن الظلماء يا صبح انتقم).

ولا يفوت الزركلي أن صنع اتساقا بين العنوان والقصيدة ، فنجد بعض العناوين جاء في صورة المنادى ، ثم يتفشى النداء وأداته داخلها، من ذلك: (يا زمان، يا نفس، يا سالك الليل، يا شمس، يا اغترابي، يا أمة العرب) وهو بذلك يؤكد اغترابه عن طريق تنوع المنادى : الأمة، الوطن ، النفس، الزمن، الطائر الذي كنى به عن ذاته، وكأنه فقد هؤلاء وغيرهم فعاد عليه ذلك بالوحدة والاغتراب .

ومن الأساليب الجمالية التي اتكأ عليها الزركلي في تصوير اغترابه: أسلوب التكرار، ومن جمالياته أنه يتسق مع الاغتراب فيبدو وكأنه يحدث نفسه من شدة الفقد ،وحديثنا عنه لن ينزلق إلى تتبع أنواعه، بل سيكون

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حديثا عنه بوجه عام، سواء كان رأسيا أو أفقيا، أو كان على مستوى الحرف أو الكلمة أو الجملة، وهو في كل الأحوال " الملمح التعبيري البارز الذي يؤدي وظيفة دلالية، تفوق مجرد وروده اللغوي " [١] .

وتكاد تكون الفكرة المتسلطة على الزركلي هي البكاء على وطنه المحتل، لذا شاعت في شعره بنية البكاء بجميع تراكيبها ومفرداتها، فمن فوائد التكرار للشاعر والمتلقي على السواء، أنه " ... يضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها على أعماق الشاعر، فيضيئها بحيث نطلع عليها، وأو لنقل إنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة، يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساسا عاطفيا من نوع ما"[٢] ومن ذلك قصيدته (يا زمان)وفيها يقول : [٣]

أبكي رُبوعا لا تطيق الهوانْ
رهن امتهانْ
أبكي ديارا خلقت للجمالْ
أبهى مثالْ !
أبكي تراث العز، والعز غالْ
صعب المنالْ
أبكي نفوسا قعدت بالرجالْ
عن النضالْ
أبكي جلال الملك كيف استحالْ
إلى خيالْ

(١) مجلة فصول، م١ ،ع ٤ ، (ظواهر أسلوبية في شعر شوقي) ١٩٨١، ص ٢١٠ .
(٢) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، ط٣، ١٩٦٧م، ص٢٤٢، ٢٤٣ .
(٣) ديوان الزركلي ، ص ٣٤ .

وفي هذه الأبيات تعاضدت مجموعة من الأساليب ،منها التكرار، والتعجب، والقافية المقيدة بما فيها من انقطاع الصوت بعد مد، وكلها توحي بالحسرة وشدة الفقد واغتراب الوطن.

وفي نفس القصيدة يأبى الشاعر إلا أن يجمع بين التكرار والاستفهام، مؤكدا حيرته الشديدة ، يقول: (١)

أين بنو هاشم الأولون

أين البنون ؟

أين بنو أمية ، الفاتحون

ينتقمون ؟

أين بنو العباس أهل الفنون

يحتكون؟

أين بنو فاطمة الغابرون

هل يبعثون ؟

ونلاحظ على القصيدة أن البكاء شمل المكان والإنسان والماضي والحاضر، وشدة تطلعه إلى انتصارات الماضي وفتوحاته وفنونه وبكل عصوره، في محاولة للاستشفاء به من ألم الحاضر .

وطبعي لمن كان في موهبة الزركلي وثقافته وخبراته التي حصلها من طول نفيه، وكثرة أسفاره ، وثقافته الواسعة، أن تتجمل أشعاره بطابع الحكمة ، بما تتسم به من تكثيف شديد ، وعبرة تلائم السياق الذي سيقت فيه، لذا من الملاحظ أن أشعار الحكمة عنده ليست منبتة الصلة بسياقها ، بل هي في غالب الأحايين تمثل خلاصة فكره بقدر ما هي خلاصة تجاربه .

---

(١) ديوان الزركلي ، ص ٣٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومنها قوله :

- ولو نَفَـعَ البُكاءُ على فَقِيـــــدٍ ... وقفـتُ له الجُفُونَ على البكاءِ [١]
- إنَّ الوبَـــــاء إذا سرى في أمـــةٍ ... أفنى الكُهولَ وَأَهْلَكَ الوِلْـدانا [٢]
- وكـلُّ ذِي غَفْـــــوةٍ لابُد نابذُها ... وهل يَظلُّ أسيـرُ النومِ وسْنانا [٣]
- ومَنْ كـان الشقاءُ له حليفـــــا ... فقد أوْدَى بعـــزّتِه الشقـاءُ [٤]
- وإذا النفـــــوسُ تَغَلّبتْ أهْواؤُها ... عَصَتِ الحُلُومَ فما يُطَاعُ نَصِيحُ [٥]
- مَـــنْ كان يُؤمن إيمانا بدعـوته ... أجـــابه الفَلَكُ الدّوّارُ : آمينا [٦]

ومَـــنْ تَكُنْ خلَصَتْ لِلْمَجـدِ نيتُه ... أصابَ نُجْحَا على الأيامِ مضمونا

ومَـــنْ أرادَ بـــه خَـيْرا مُسّيرُه ... في عالَمِ الغيبِ وَقّاهُ المُعادِينـــا [٧]

إنّ الزمانَ على ما فيـــه من عِـوَجٍ ... قَـدْ يَستقيمُ به أمْـــرُ الأَبِيّينا

- ومَنْ أَعَـــدّ لِضَبطِ المُلكِ عُـدّتَـــهُ ... أطـــاعَهُ المُلكُ واقتاد العَصِيينا [٨]
- إذا العقـــلُ لم يُبْلِغْكَ رُشْـــدا فإنه ... مِنَ العقل حِينا أنْ تعيشَ بِلا عقلِ [٩]

---

(١) ديوان الزركلي ، ص ٢٣.
(٢) السابق ، ص ٢٥.
(٣) نفسه ، ص ٢٦
(٤) نفسه ، ص ٣٧
(٥) نفسه ، ص٤١.
(٦) نفسه ، ص ٨١.
(٧) نفسه ، ص٨٤.
(٨) نفسه ، ص ٨٥.
(٩) نفسه ، ص ١٠٤.

- والشعبُ إنْ عَــرَفَ الحَياةَ فما لهُ عَنْ دَرْكِ أسبابِ الحياةِ مَحِيدُ.. [١]

- ومَنْ كان ذا عَزمٍ فصمّم في العُلـى أُتِيْحَ له منها الغَدَاةَ مُتَاحُهَا ..! [٢]

- وإذا العُـرى انفصمتْ تولّـى أهلَها ضَيْمُ المُغيرِ بِخَطْبِهِ الكُبّـــارِ [٣]

- ضَـمُّ اليدينِ إلى اليدين مناعــةٌ وســـواهُ خفةُ أنفسٍ وَنُزُوقُها [٤]

وإذا الفُروقُ استحكمتْ في أُمــــةٍ لَمْ تَسْتقمْ حَتّى تُزال فُروقُهـا

- إنَّ الشِقَــاقَ إذا تطـــاولَ عهدُه آبتْ به الأيـــامُ شَرّ مَـــآبِ [٥]

- لا خيرَ في الحكم، لا الشورى تُسانده ولا حَصَافةُ أقــوالٍ وأفعــالِ [٦]

وبين الحكمة والشعر صلة وثيقة، خاصة عندما يستدعيها السياق ولا تكون منبتة الصلة عنه، لذا يقول عنها أحمد شوقي:" لا يزال الشعر عــاطلا حتى تزينه الحكمة، ولا تزال الحكمة شاردة حتى يؤديها بيت من الشعر "[٧].

والمتأمل في أشعار الحكمة عند الزركلي يجد أن أغلبها جاء في سياق الاستنجاد بالماضي العربي التليد، والتلذذ بذكر انتصاراته، كما أنهــا تلــوم على العرب تفرقهم وتمزقهم، كما أنها جاءت نتاجا لثقافة واسعة متنوعــة، تغذيها كثرة أسفاره، وشدة معاناته من تجربة النفي التي خاضها، إضافة إلى قوة ذاكرته.

---

(١) ديوان الزركلي ، ص ١١٨.
(٢) السابق ، ص ١٥٥.
(٣) نفسه ، ص ٢١٢.
(٤) نفسه ، ص ٢٣٦.
(٥) نفسه ، ص ٢٤٧ .
(٦) نفسه ، ص ٢٤٨ .
(٧) المتنبي وشوقي، مصطفى أمين الرفاعي ،منشأة المعارف، الإسكندرية،٢٠٠٢م، ص ٢٤٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة البحث

بعد هذه الوقفة المتأنية مع ظاهرة الاغتراب في شعر الزركلي ،خلص البحث إلى بعض الأفكار، من أهمها:

- أن الاغتراب لا يتأتى عبثا، وإنما لا بد له من أسباب وبواعث .
- أن الاغتراب عند الزركلي يكتسي حلة وطنية وقومية خالصة، فأغلب بواعثه تخص المجتمع أو الوطن، وقليل منها جاء ذاتيا لظرف نفسي خاص به.
- أن المثقف أكثر حساسية من غيره ؛لأنه يصبو إلى المثالية، خاصة إذا تعلقت هذه المثالية بأفضلية المجتمع ووحدة الوطن .
- أن المثقف العربي القديم لم يكن أقل اغترابا، بل عانى الاغتراب وقسوته، كالفارابي وأبي الفرج الأصفهاني، وأبي حيان التوحيدي.
- أن تأثير المتنبي في الشعراء المحدثين كان كبيرا، وعلى رأسهم الزركلي سواء في بث أشعار الحكمة، أو النرجسية الفردية والجمعية.
- أن التجربة الشعرية تصبح أكثر نضجا عندما يجتمع الاغتراب بالنفي .
- أن الزركلي كان ينطلق في تجربته الشعرية عامة والاغترابية خاصة من حس وطني وقومي خالصين .
- أن الماضي العربي بأمجاده كان حيا نابضا في نفس الزركلي يتمثله ويلجأ إليه، في محاولة لتعويض النقص والفقد اللذين أرقا عليه حياته .
- أن بعض الأساليب الفنية والجمالية أكثر التصاقا بالاغتراب من غيرها، كالاستفهام، والنداء والتكرار، فهي أكثر ملاءمة لتجربته .

- ويوصي البحث بدراسة البنية الإيقاعية في شعر الزركلي؛ حتى تتكشف أبعاد الخروج على أوزان الخليل، ومدى نجاح محاولاته في المزج بين تفعيلات البحور المختلفة ، وإكثاره من الاعتماد على الزحاف والعلل بصورة كبيرة، وهل ذلك نقص في الموهبة أم محاولات للتجديد، أصاب فيها أو أخطأ ؟

والله أسأل أن يكون البحث قد وفق في دراسة هذه الظاهرة، وأن يمثل مع الدراسات السابقة عن الزركلي، بداية لوضع شعره على خريطة النقد العربي .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أدب الغرباء ، أبو الفرج الأصفهاني ، نشر صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت،ط١، ١٩٧٢م.
- الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي، جزء:١،مطبعة جامعة الملك فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، الجزء الثامن ، دار العلم للملايين،ط١٥، مايو٢٠٠٢م.
- الأعمال الشعرية الكاملة ، أحمد شوقي ، ج ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- الاغتراب ، ريتشارد شاخت، ترجمة : محمد كمال حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠، .
- الاغتراب سيرة ومصطلح، محمود رجب، دار المعارف، ط ٤ ، ١٩٩٣م .
- الاغتراب عند إيريك فروم، حسن محمد حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥م.
- الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١، ٢٠٠٦م.
- الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي مقارنة موضوعاتية للخطابات الشعرية لإيليا أبي ماضي وإبراهيم ناجي وأبي القاسم الشابي، د. محمد الهادي بو طارق، دار الكتاب الحديث ، ٢٠١٠م .
- الاغتراب في شعر وحياة الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الأندلس، بيروت.

- الاغتراب في الشعر العباسي، القرن الرابع الهجري، سميرة سلامي، دار الينابيع، دمشق ، الأولى ، ٢٠٠٠م .
- تاريخ سورية الحديث :هاشم عثمان، رياض الريس للكتب والنشر، الأولى ، يناير ٢٠١٢م .
- تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي ، زامل صالح ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، بيروت ،٢٠٠٣م.
- الحنين والغربة في الشعر العربي، يحيى الجبوري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٨٢.
- خير الدين الزركلي المؤرخ الأديب الشاعر صاحب كتاب الأعلام ،أحمد العلاونة، دار القلم ، دمشق، ٢٠٠٢م.
- خير الدين الزركلي شاعر الوطن، د أكرم جميل قنبس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ، ٢٠٠١١م.
- دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبداللطيف محمد خليفة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار وآخرون، جزء:٥، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط ١٤٢٤،٣هـ-٢٠٠٣م .
- ديوان الزركلي (الأعمال الشعرية الكاملة) مؤسسة الرسالة، الأولى ، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح د. كمال طالب، دار الكتب العلمية، مج: ٣ ، ٤، الطبعة الأولى، بيروت،١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة .
- الرواية والروائيون دراسات في الرواية المصرية ،شوقي بدر يوسف ، مؤسسة حورس الدولية ،الأولى ، ٢٠٠٦م .

- الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، عمر بو قرورة، منشورات جامعة باتنة، د طـ ، د ت .
- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، ط٣، ١٩٦٧م .
- المتنبي وشوقي، مصطفة أمين الرفاعي ،منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٥م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٢، جزء:٥ .

المجلات والدوريات

- مجلة عالم الفكر، مج١٠ ،عدد١، الكويت ، ١٩٧٩م.
- مجلة عالم الفكر، (الغربة المكانية في الشعر العربي) ، مج ١٥،عدد ١، ١٩٨٤م.
- مجلة فصول (ظواهر أسلوبية في شعر شوقي) ١٩٨١ ، م١ ،ع ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- مجلة فصول، (الاغتراب في أدب حليم بركات ، بسام فرنجية) مج٤، عدد١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،أكتوبر، ١٩٨٣.
- مجلة فصول ، عدد٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٥.
- مجلة الكوفة ، مج ٥،ع ١ ، العراق ،٢٠٠١م .
- مجلة الموقف الأدبي، (الاغتراب في أدب زكريا تامر، غسان السيد) ، عدد٣٥٢، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، سبتمبر ٢٠٠٣م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٧٧٦٧
٢-	Abstract	٧٧٦٨
٣-	مقدمة	٧٧٦٩
٤-	تمهيد	٧٧٧١
٥-	١ - مفهوم الاغتراب :	٧٧٧١
٦-	٢ - التعريف بالزركلي: ١٨٩٣- ١٩٧٦م	٧٧٧٦
٧-	مفهوم الشعر عنده :	٧٧٧٩
٨-	المحور الأول : بواعث الاغتراب في شعر الزركلي	٧٧٨٣
٩-	المحور الثاني : أنماط الاغتراب في شعر الزركلي	٧٧٩١
١٠-	المحور الثالث : الأساليب الجمالية	٧٨٣٠
١١-	خاتمة البحث	٧٨٣٨
١٢-	المصادر والمراجع	٧٨٤٠
١٣-	فهرس الموضوعات	٧٨٤٣